

العهد القديم الأنبياء الكبار إشعيا، إرميا، مراثي، حزقيال، دانيال الكتيب رقم ٨

Old Testament
The Major Prophets
Isaiah, Jeremiah, Lamentations, Ezekiel and Daniel
Study Booklet # 8
By Rev. Dr. Dick Woodward

بقلم: القس الدكتور ديك وودورد
ترجمة: القس الدكتور بيار فرنسيس

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو إلكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرامة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

محتويات الكتاب

٢	الفصلُ الأوَّلُ مُواصفاتُ نَبِيِّ
٧	الفصلُ الثاني دُخولُ وُخُروجُ إشعيا
١١	الفصلُ الثالثُ "رسائلُ مَسياوِيَّة"
١٧	الفصلُ الرابعُ نُبوَّةُ إرميا
٢١	الفصلُ الخامسُ مُرْتَمُ السببي
٢٥	الفصلُ السادسُ "أخبارُ الله المُحزنة"
٢٩	الفصلُ السابعُ سفرُ مرثي إرميا
٣٢	الفصلُ الثامنُ نُبوَّةُ حزقيال
٣٧	الفصلُ التاسعُ "عِظامُ يابسة"
٤٠	الفصلُ العاشِرُ نُبوَّةُ دانيال
٤٤	الفصلُ الحادي عشرُ "أَمجادُ بابل"
٤٨	الفصلُ الثاني عشرُ رُؤى وإعلاناتُ دانيال

الفصل الأوّل

مُوصفاتُ نَبِيّ

تُعْتَبَرُ الأسفارُ النبويّةُ جوهرَ العهدِ القديمِ، خاصّةً من وُجْهَةٍ نظرِ العهدِ الجديدِ. ففي العهدِ الجديدِ، يُشِيرُ يسوعُ إلى العهدِ القديمِ "بالنّاموسِ والأنبياءِ" (متى ٧: ١٢؛ ٢٢: ٤٠). فالنّاموسُ هو الأسفارُ الخمسةُ الأولى في الكتابِ المُقدَّسِ – تكوين، خُرُوج، لاويين، عدد، وتثنية. أما أسفارُ الأنبياءِ، فتبدأُ مع إشعياء وتنتهي بملاحي.

هُنَاكَ وُجْهَةٌ نظرٍ حولَ الأنبياءِ، عبَّرَ عنها الرسولُ بولسٌ عندما كانَ يُرافِعُ عن نفسهِ أمامَ أحدِ المُلوِكِ. ولقد كانَ الرسولُ مُكَبِّلاً بالأغلالِ، وأعلَنَ الإنجيلَ بجرأةٍ وإقناعٍ، لدرجةٍ أنَّ الملكَ علَّقَ بالقولِ أن بولسٌ تقريباً أقنَعَهُ بأن يصيرَ مسيحياً. والجزءُ الأكثرُ دراماتيكيّةً في شهادةِ بولسٌ هو عندما طرحَ السؤالَ، "أيُّها الملكُ أغريباس، هل تُؤمِنُ بالأنبياءِ؟ أنا أعرفُ أنّكَ تُؤمِنُ بالأنبياءِ." إن سؤالَ بولسٌ غالباً ما كانَ يُطرحُ عن الأنبياءِ. فلقد كانت كِرَازَتُهُم وكتاباتُهُم ممسوحةً وخارقةً للطبيعة، لدرجةٍ أن طريقةً من طُرُقِ إكتشافِ ما إذا كانَ رجُلٌ أو امرأةٌ يتحلُّونَ بالإيمانِ، هُوَ بالسؤالِ، "هل تُؤمِنُ بالأنبياءِ؟"

عندما يُشيرُ العهدُ الجديدُ إلى الأنبياءِ، فهو عادةً يُشيرُ إلى الأنبياءِ الذينَ كتبوا أسفاراً، أي الأسفارِ النبويّةِ. هُنَاكَ سبعةٌ عشرَ سفرًا نبويًّا، كَتَبَهَا سِتَّةٌ عشرَ نبياً، (لأنَّ إرميا كتبَ اثنين من هذه الأسفارِ النبويّةِ – إرميا ومرثي إرميا.)

قَبْلَ أن نبدأَ دراستنا للأسفارِ النَّبويّةِ، أوَدُّ أن أجيبَ على السؤالِ التالي، "من كانَ الأنبياءُ بالتحديد؟" أبدأُ جوابي على هذا السؤالِ بمُقارَنَةِ النبيِّ بالكاهنِ. عندما كُتِبَتِ أسفارُ الأنبياءِ، كانَ الكاهنُ هُوَ القائدُ الروحيُّ المُهمُّ. لقد كانَ للكهنَةِ دورٌ هامٌّ كونهم يتوسَّطونَ ويتشفَّعونَ أمامَ اللهِ بالشعبِ الخاطيءِ. وكانت أهميَّةُ دورِ الكهنَةِ أيضاً تنبُعُ من كونهم يُفسِّرونَ ويُعلِّمونَ كَلِمَةَ اللهِ لِشعبِ اللهِ. ولقد أجابَ الكهنَةُ على أسئلتهم حولَ الوحي والذَّبائحِ والطقوسِ في خيمةِ الاجتماعِ في البريةِ، وفيما بعد في هيكلِ سُلَيْمانِ.

ولقد وُلِدَ الكاهنُ كاهناً، لأنَّهُ من سبطِ هارونَ أو لاوي. ولسوءِ الحظِّ، غالباً ما أصبَحَ الكهنَةُ فاسدينَ وخُطاةً. ولقد صاغَ هُوشَعُ العبارةَ القائلة، "كما الكهنَةُ كذلك الشعبُ." وغالباً، عندما أصبَحَ الشعبُ مُرتدّاً وخاطئاً، كانَ الكهنَةُ هم السبَّاقونَ في قِيادةِ الشعبِ نحو الفسادِ. فعندما أصبَحَ الكهنَةُ فاسدينَ وخاطئينَ، أرسلَ اللهُ الأنبياءِ.

الأنبياءُ لم يُولدوا أنبياءً، بل دُعُوا ليكونوا أنبياءً من شتَّى طُرُقٍ ومهَنِ الحياةِ. اثنانِ أو ثلاثة من الأنبياءِ كانوا كهنَةً عندما دُعُوا ليكونوا أنبياءً، ولكنَّ هؤلاء كانوا استثناءً نادراً. بعضُ

الأنبياء كانوا ينتمون إلى طبقة الأشراف من العبرانيين عندما دُعوا ليكونوا أنبياء. وبعض هؤلاء الأنبياء دُعوا من بين عامة الشعب، مثل عاموس الذي كان جاني جُميز وراعي غنم عندما دُعِيَ ليكون نبياً. بشكلٍ أساسي، كان الكاهن هو الشخص الذي يذهب إلى حضرة الله ويتشفع أمامه عن الشعب. أما النبي فكان ذلك الشخص الذي يأتي من حضرة الله إلى أمام الشعب حاملاً لهم رسالة الله.

إنَّ كُلَّ الأنبياء الذين كتبوا أسفاراً عاشوا في مرحلة حوالي أربعمئة سنة، أي منذ حوالي ٨٠٠ ق.م. إلى حوالي ٤٠٠ ق.م. خلال هذه المرحلة، كان الشعب خاطئاً جداً، ولقد وقعوا بشكلٍ خاص في خطيئة عبادة الأوثان. ولأنهم عبدوا آلهةً أخرى، فدينونة الله جاءت عليهم بشكلٍ اجتياحٍ آشوريٍّ وسبي المملكة الشماليّة. وتبع هذا بعد حوالي المائة سنة اجتياحٍ بابليٍّ وسبي المملكة الجنوبيّة. مُعظمُ الأنبياء الذين كتبوا أسفاراً، عاشوا إما قبيل السبي الآشوري والبابلي، أو خدموا ووعظوا خلال حدوثِ هاتين النكبتين، أو عاشوا وكرزوا في فترة العودَةِ من أحداثِ السبي المأساويّة.

ومن بين الأنبياء الستة عشر، ثلاثةٌ منهم خدموا ووعظوا بعدَ حدوثِ السبي، ولهذا يتكلمون عن العودَةِ وإعادةِ البناء التي تَبِعَت رجوعَ شعبِ الله من السبي البابلي. ولكنَّ مُعظمَ الأنبياء سبقوا الاجتياحَ والسبي الآشوري والبابلي أو خدموا خلالَ حدوثِهما.

الأنبياءُ الذي سبقوا السبي الآشوري للمملكة الشماليّة والسبي البابلي للمملكة الجنوبيّة، ووعظوا بالإجمال الرسالة التالية: "إذا حدثَ بينكم نهضةٌ روحية، إذا تَبُنُّم بِصِدْقٍ عن خطيئةِ عبادتكم للأوثان، فهذا الاجتياح والسبي الآشوريُّ أو البابليُّ لن يحدث." لقد دعا هؤلاء الأنبياء إلى التوبة والنهضة الروحية. ولكن في مُعظم الأحيان، وقعت رسائلُ هؤلاء الأنبياء على أذانٍ صمّاء. فتجاهلَ الناسُ وعظَّ الأنبياء وسدُّوا آذانهم عن سماعه. وهكذا سخروا بالأنبياء واستهزأوا بهم، وأحياناً قتلوهم وجعلوا منهم شُهداء. وماتَ كثير من الأنبياء بسبب عدم رغبةٍ أحدٍ بسماعِ رسالتهم.

عندما لاحظَ الأنبياءُ أنَّ الشعبَ لم يتجاوبوا مع رسالتهم، ووعظوا قائلين، "أنَّ الاجتياحَ والسبي قادمين، وعندما سيحدثُ هذا، سيكونُ بمثابة دينونةِ الله القدير عليكم لأنكم لم تتوبوا عن عبادتكم للأوثان." ولقد كانوا على حق. فعندما احتلَّ الآشوريُّون المملكة الشماليّة، أخذت هذه المملكة الشماليّة إلى السبي، وانقطعَ ذكرها منذ ذلك الحين. وبعدَ حوالي مائة سنة، احتلَّ البابليون المملكة الجنوبيّة.

ثمَّ وعظَّ الأنبياءُ رسالةَ رجاءٍ مُتعلِّقةً بذلك الاجتياح والسبي. لقد أخذوا إعلاناً نبويّاً، فقالوا، "بعدَ سبعين سنةً من الآن سوفَ ترجعونَ من السبي." لقد رأوا الرجوعَ من السبي البابليِّ

كتعبيرٍ عن رحمةٍ ونعمةٍ الله. وعلى آيةٍ حال، فإن مُعظَمَ الأنبياء الذي تنبأوا بالرجوع لم يعيشوا ليشهدوا حدوثه.

نُبُوءَاتٍ مَسِيَاوِيَّةٍ

موضوعٌ آخرٌ مُثيرٌ للاهتمام في رسالة الأنبياء هو وعظُهم عن تشتتِ شعبِ الله إلى أقاصي الأرض. عندما كرزوا بهذا الشتات، غالباً ما كرزوا أيضاً بالعودة. فعندما كرزوا بالرجوع من السبي البابلي، مزجوا غالباً نبوءاتٍ مسياويةٍ مع النُبُوءاتِ بالعودة من السبي.

يُقدِّمُ هؤلاء الأنبياء مجيءَ المسيح كحدثين أو مجيئين. فهو سيأتي في المرّة الأولى كالمُخْلِصِ المُتَالِمِ، لكي يموتَ عن خطايا العالم. ولكنهُ سيأتي أيضاً في ما نُسَمِّيهِ "المجيء الثاني للمسيح"، سيأتي ثانيةً كملكِ الملوك وربِّ الأرباب، لكي يهزمَ قُوَّاتِ الشر، ولكي يُوسِّسَ سماواتٍ جديدةٍ وأرضاً جديدةً يسكنُ فيها البر.

من الصَّعبِ عادةً الفصل بين النُبُوءاتِ المَسِيَاوِيَّةِ والنُبُوءاتِ عن العودَةِ الحرفِيَّةِ من السبي البابلي. من الصعب أيضاً الفصل بين النُبُوءاتِ عن المجيء الأول للمسيح، الذي سبقَ وحدث، وبين النُبُوءاتِ التي تتخطى زَمَانَنَا الحاضر لِتَصِلَ إلى المجيء الثاني ليسوع المسيح. إنَّ النُبُوءاتِ المَسِيَاوِيَّةِ عن المجيئين الأول والثاني للمسيح، هي الأكثر تشويقاً في هذه الأسفار النبوية.

ناطِقُونَ بِاسْمِ اللَّهِ

عندما نسمَعُ كلمة "نبي"، نُفَكِّرُ بِدورِ النَّبِيِّ وكأنَّهُ يُشْبِهُ دورَ المُذيعِ الإعلامي الذي يُخبرنا عن الطقس، وعن التوقُّعاتِ عمَّا ستكونُ حالُ الطقسِ في الغد. إنَّ كَلِمَةَ نَبِيٍّ تعني بالحقيقة "الشخص الذي يتكلَّمُ نيابةً عن الله". لهذا كانَ النَّبِيُّ كائنًا بشرياً تكلمَ اللهُ من خلاله. ولقد تكلمَ هؤلاء الأنبياء نيابةً عن الله بمَعْنِيَيْنِ. فأولاً "أخبروا" بكلمةِ الله بمعنى أنَّهم كانوا الوُعَاظُ العِظامُ في الكتاب المقدس. ثمَّ "أخبروا مُسَبِّقاً" أو تنبأوا بأحداثٍ لم تحدث بعد. وبعضُ هذه الأمور التي تنبأوا بها لا تزالُ تنتظرُ تحقيقها.

يندهشُ الناسُ من البُعدِ المُستقبلي لخدمةِ النبي، الذي كانَ جزءاً ديناميكياً حيويًا ولكن صغيراً من خدمةِ النبي. فالأنبياء لم يكونوا بالدرجة الأولى مُجرَّدَ مُخبرين عن المُستقبل، بل كانوا وُعَاظًا. ولقد حضَّ الأنبياءُ شعبَ الله على طاعةِ الكلمة وتطبيقها على حياتهم الشخصية. لقد استلمَ الأنبياءُ غالباً إعلاناتٍ نبويةٍ عن حقائقٍ جديدة، ولكن بمُعظَمِهم، ابتداءً من يشوع، وعظَّ الأنبياءُ بكلمةِ الله المُدَوِّنة التي سبقَ وأعطيت من خلالِ مُوسَى. لهذا أُسمِّي مُوسى عملاقَ الأنبياء لأنه هو الذي استلمَ من الله الكلمة التي كررَ بها الأنبياءُ اللاحقون.

إِنَّ كَلِمَةَ نَبِيٍّ مَأخُوذَةٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ تَعْنِيَانِ، "الوقوف في المُقَدِّمَةِ لِلإِنَارَةِ." فَلَقَدْ وَقَفَ النَّبِيُّ مِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللَّهِ الْمَكْتُوبَةِ وَجَعَلَهَا تُنِيرُ لِكِي يَفْهَمَ شَعْبُ اللَّهِ كَلِمَةَ اللَّهِ. وَلَقَدْ حَضَّ النَّبِيُّ شَعْبَ اللَّهِ عَلَى طَاعَةٍ وَتَطْبِيقِ كَلِمَةِ اللَّهِ فِي حَيَاتِهِمْ. فَعِنْدَمَا كَانَ يَقْبَلُ النَّبِيُّ إِعْلَانَاتٍ عَنْ أَحْدَاثٍ مُسْتَقْبَلِيَّةٍ، حَضَّ النَّبِيُّ شَعْبَ اللَّهِ دَائِمًا عَلَى أَنْ يَعِيشُوا حَيَاةَ التَّقْوَى وَالْقِدَاسَةِ، عَلَى ضَوْءِ الإِعْلَانِ الَّذِي أَعْطَاهُ إِيَّاهُ اللَّهُ لِئِشْرَاكَهُ مَعَ شَعْبِهِ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ.

حَيْثُ لَا مُشْكِلَةَ، لَا نَبِيٍّ

لَقَدْ ظَهَرَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَى السَّاحَةِ عِنْدَمَا ظَهَرَتِ الْمَشَاكِلُ. وَبِمَعْنَى مَا تَسْتَطِيعُ الْقَوْلُ أَنَّهُ، "حَيْثُ لَا مُشْكِلَةَ، لَا نَبِيٍّ." وَبَيْنَمَا تَدْرُسُ حَيَاةَ وَرِسَالَةَ كُلٍِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، يَنْبَغِي أَنْ تَطْرَحَ أَسْئَلَةً كَالتَّالِيَةِ، "مَا هِيَ الْمَشْكِلَةُ الَّتِي كَانَتْ تُعِيقُ عَمَلَ اللَّهِ، عِنْدَمَا دُعِيَ هَذَا الشَّخْصَ الْفَرِيدَ لِيَكُونَ نَبِيًّا، وَكَيْفَ أَدَّتْ خِدْمَتُهُ إِلَى إِزَالَةِ الْمَشْكِلَةِ الَّتِي كَانَتْ تُعَوِّقُ عَمَلَ اللَّهِ فِي أَيَّامِهِ؟"

فَمَثَلًا، فِي زَمَنِ النَّبِيِّ حَجِّي، الَّذِي كَانَ فِي زَمَنِ الْعُودَةِ مِنَ السَّبْيِ الْبَابِلِيِّ، كَانَ عَمَلُ اللَّهِ يَخْتَصُّ بِإِعَادَةِ بِنَاءِ هَيْكَلِ اللَّهِ فِي أُورُشَلِيمَ. وَعِنْدَمَا بَدَأَ شَعْبُ اللَّهِ بِنَاءَ الْهَيْكَلِ، كَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَحَمَّلُوا اضْطِهَادًا عَنِيفًا. فَبِالرُّغْمِ مِنْ كَوْنِهِمْ حَصَلُوا مِنَ الْمَلِكِ الْفَارِسِيِّ عَلَى إِذْنٍ بِالْعُودَةِ مِنَ السَّبْيِ وَبِإِعَادَةِ بِنَاءِ هَيْكَلِهِمْ، فَلَقَدْ وَاجَهُوا مُقَاوِمَةً عَنِيفَةً عِنْدَمَا بَدَأُوا بِإِعَادَةِ الْبِنَاءِ.

وَعِنْدَمَا بَدَأَ الْاضْطِهَادَ، تَوَقَّفُوا عَنِ بِنَاءِ الْهَيْكَلِ، وَانْشَغَلُوا بِبِنَاءِ مَنَازِلِهِمْ وَبُيُوتِهِمْ الْخَاصَّةً. وَاسْتَمَرَ هَذَا لَخَمْسِ عَشْرَةِ سَنَةٍ، إِلَى أَنْ أَقَامَ اللَّهُ النَّبِيُّ حَجِّي. وَمَا وَعَظَ بِهِ حَجِّي عَنِ هَيْكَلِ الرَّبِّ كَانَ التَّالِيَّ، "هَلِ الْوَقْتُ لَكُمْ أَنْتُمْ أَنْ تَسْكُنُوا فِي بُيُوتِكُمْ الْمُغَشَّاةِ وَهَذَا الْبَيْتُ خَرَابٌ؟" (حَجِّي ١: ٤). لَقَدْ وَعَظَ حَجِّيَ لِلشَّعْبِ وَحَضَّهُمْ عَلَى الْعُودَةِ إِلَى الْعَمَلِ فِي بِنَاءِ الْهَيْكَلِ. وَنَتِيجَةً لَوْعَظِ حَجِّي، تَوَقَّفَ الشَّعْبُ عَنِ بِنَاءِ بُيُوتِهِمْ، وَأَعَادُوا تَرْتِيبَ أَوْلِيَائِهِمْ، فَوَضَعُوا اللَّهُ وَهَيْكَلَهُ أَوْلَى، وَبُيُوتَهُمْ ثَانِيًا. فَعَادَ عَمَلُ اللَّهِ إِلَى مَسَارِهِ الصَّحِيحِ، وَاخْتَفَى حَجِّي عَنِ السَّاحَةِ.

إِنَّ رِسَائِلَ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّتِي كَتَبَهَا الرَّسُلُ وَغَيْرُهُمْ، تَتَوَارَى مَعَ هَذَا النَّمُودَجِ. فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، كَانَ عَمَلُ اللَّهِ هُوَ بِنْيَانُ كَنِيسَةِ الْمَسِيحِ. عِنْدَمَا كَانَتْ تَظْهَرُ الْمَشَاكِلُ الَّتِي تُعِيقُ عَمَلَ اللَّهِ، أَقَامَ اللَّهُ رِسُولًا يَكْتُبُ رِسَالَةً. فَمَاذَا كَانَ الْهَدَفُ مِنْ رِسَالَةِ هَذَا الرَّسُولِ؟ إِنَّ الْقَصْدَ مِنْهَا هُوَ تَوْبِيخُ مِنَ الرَّسُولِ ضِدَّ الْمَشْكِلَةِ الَّتِي تُعِيقُ عَمَلَ بِنْيَانِ كَنِيسَةِ الْمَسِيحِ الْمَقَامِ، إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ هَذِهِ الْمَشْكِلَةُ وَيَزُولَ الْعَائِقُ وَيَتَابِعَ عَمَلُ اللَّهِ تَقَدُّمَهُ.

إِنَّ الْمَشَاكِلَ الْمُعِيقَةَ الَّتِي وَاجَهَهَا الْأَنْبِيَاءُ هِيَ لَيْسَتْ نَفْسَ الْمَشَاكِلِ الَّتِي تُعَالِجُهَا رِسَائِلُ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ. عِنْدَمَا تَجْمَعُ بَيْنَ رِسَائِلِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَسْفَارِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، يُصْبِحُ لَدَيْكَ أَرْبَعُونَ سَفْرًا مِنْ

الكتاب المقدس التي تحتوي على توصياتٍ عن كيفية إزاحة وإزالة المشاكل التي تُعيقُ وتُعطلُ عملَ الله في أيّامنا.

الله يُريدُ أن يعملَ عمله من خلالِ شعبه. وهذا يصحُّ في أيّامنا بمقدار ما كان يصحُّ في أيّام الأنبياء والرُّسل. فعندما تُدركُ بأنَّ عملَ الله في عالمك الذي وضعك الله فيه ستراتيغياً، مُعاقٍ بمُشكلةٍ ما، وإن كان لديك الإقتناع أنَّ الله لا يعملُ كما يُريدُ أن يعملَ، صلِّ إلى أن تكتشفَ ما هي المُشكلة التي تُعيقُ كلمةَ الله. وعندما تعرفُ ما هي المُشكلة التي تُعيقُ عملَ الله، اذهب إلى كتاباتِ الأنبياء أو الرُّسل، واطلبُ من الله الحكمةَ والنعمَةَ والشجاعة لتُطبِّقَ رسائِلَهُم على المشاكل التي تُعيقُ تقدُّمَ عملِ الله في مُحيطك.

فمن خلالِ الأنبياء والرُّسل، سوف يُظهرُ الله لك كيف تُزيلُ العوائق التي تعترضُ سبيلَ عملِ الله. وإن كان الأنبياء والرُّسل لا يتكلَّمونَ عن العوائق التي تعترضُ سبيلَ عملِ الله في منطقتك من العالم، فمن المُمكن أن الله يُريدُك أن تصرخَ إليه بنفسِ الرُّوح التي صرخَ بها الرُّسلُ والأنبياء إليه، طالباً تدخُّله لإزالةِ هذه العوائق التي تُعيقُ عملَ الله.

الفصل الثاني

دُخُولُ وَخُرُوجُ إِشْعِيَاءَ

يقعُ الأنبياءُ في قِسمين: الأنبياءُ الكبارُ والأنبياءُ الصغار. ليسَ أنَّ الأنبياءَ الكبارَ أعظمُ من الأنبياءِ الصغار، ولكن الأنبياءَ الكبارَ سَمَّيوا هكذا لأنَّهم كتبوا أسفاراً أطولَ جداً مما كتبهُ الأنبياءُ الصغار. وإذ نُفَكِّرُ بالأنبياءِ الكبارِ والصغار، نقولُ أنَّ إشعيا هو أعظمُهُم، لأنَّ سفرَ إشعيا هو أطولُ الأسفارِ النبويَّةِ.

إنَّ إشعيا كان ينتمي إلى طبقةِ الأشرافِ بينَ اليهود. ويُخبرنا التقليدُ اليهوديُّ أنَّ إشعيا كان قريباً للملكِ عَزِّيَّا، وللملكِ يُوَاشَ من جهةِ والدِه. وبما أنَّ إشعيا خدَمَ عِدَّةَ مُلوك، كانت خليفَتُهُ المَلَكِيَّةُ أفضلَ إعدادٍ للخدمةِ التي دعاهُ إليها اللهُ.

وُجْهَةٌ نَظَرُ تَارِيخِيَّةٍ حَيَوِيَّةٍ

رُغمَ أنَّ دراستنا هذه للكتابِ المقدَّسِ هي دراسةٌ تعبُديَّةٌ عمليَّةٌ، هُناكَ وُجْهَةٌ نَظَرٍ تاريخيَّةٍ ينبغي أن تتحلَّى بها لكي تفهَمَ رسالةَ الأنبياءِ. في الفترةِ التاريخيَّةِ التي عاشَ فيها الأنبياءُ وكرزوا وكتبوا وخدموا، أي من حوالي ٨٠٠ إلى ٤٠٠ ق.م، كانت هُناكَ ثلاثُ قُوَى عالميةٍ عظيمةٍ؛ الأمبراطوريَّةُ الأَشُوريَّةُ العُظمى، الذي إجتاحت مملكةَ إسرائيلِ الشماليَّةِ؛ الأمبراطوريَّةُ البابليَّةُ التي إجتاحت وسبَّت مملكةَ يهوذا الجنوبيَّةِ، بعدَ أن سبقَ وتغلَّبَ البابليُّونَ على الأمبراطوريَّةِ الأَشُوريَّةِ؛ ثم الماديُّونَ والفُرسُ الذي إجتاحوا بابلَ.

عاشَ إشعيا عندما كانت أشُورُ القُوَّةُ العُظمى الحاكمةُ في العالم، وقبلَ أن تجتاحَ أشُورُ المملكةَ الشماليَّةَ وتهزِمَ عاصمتها السامرة. فالأسباطُ الشماليَّةُ العشرة، التي كانت تُدعى إسرائيلَ، أُخِذَتَ للسبي. وصارَ يُشارُ إليها بـ "أسباطِ إسرائيلِ المفقودة"، لأنَّ ذَكَرَهُمُ إنقطعَ منذُ ذلكَ الحين. ومُعظَمُ وعظِ إشعيا كانَ بمثابةِ تحذيرٍ للملكةِ الشماليَّةِ بأنَّ الإجتياحَ الأَشُوريَّ آتٍ كدينونةٍ من الله على خطيئتهم في عبادةِ الأوثان.

وبعدَ أن اجتاحت الأَشُوريُّونَ المملكةَ الشماليَّةَ، فهزموها وأخذوا أسباطَ إسرائيلِ العشرةِ إلى السبي، تحوَّلَ الأَشُوريُّونَ نحو الجنوبِ واجتاحتوا المملكةَ الجنوبيَّةِ. فاحتلُّوا ستةً وأربعينَ مدينةً مُسَوَّرةً في يهوذا. ووصلت جُيُوشهم إلى أبوابِ أُورشليم، وأخذوا مائتي ألفِ يهودي

أسرى إلى آشور. وعندما وصلت جيوش آشور إلى أبواب أورشليم، كان إشعياء في أوج نبوته.

كان الملك الحاكم في تلك الحقبة في المملكة الجنوبية، وهو حزقياء، كان ملكاً صالحاً. لقد كان حزقياء رجلاً روحياً ومُجاهداً في الصلاة. ولقد كتب حزقياء عشرةً من المزامير. وعندما وصل الأشوريون إلى أبواب أورشليم، أخذ قائد الجيش الأشوري بالنطق بشتيمة الرجال العبرانيين الذين كانوا يحرسون أورشليم، مُتحدياً شعب يهوذا بالإستسلام.

وبينما كان حزقياء الملك في الهيكل، يتضرع أمام الله من أجل حياة شعبه، أخذ النبي إشعياء إعلاناً من عند الله. فذهب إشعياء إلى الهيكل وقال لحزقياء أن الإنقاذ آتٍ، لأن الله سمع صلاته. وقال إشعياء لحزقياء أن الأشوريين سوف يستلمون رسالة يُخبرون فيها أنه عليهم الرجوع إلى بلادهم، وعندما يصلون إلى آشور، سوف يُقتل ملكهم هناك.

تلك الليلة، مائة وخمسة وثمانون ألفاً ماتوا من الطاعون في الجيش الأشوري. وفي الصباح التالي، عندما اكتشف بقية الجيش الأشوري مصير رفاقهم المأساوي، حملوا عتادهم ورجعوا إلى آشور. وعندما وصلوا إلى هناك، تحققت نبوة إشعياء عندما جاء إثنان من أولاد ملك آشور وقتلاه. إذا تكلمنا إنسانياً، يمكن القول أنه لولا خدمة وتأثير النبي إشعياء، لأخذ الأشوريون المملكة الجنوبية مع المملكة الشماليّة، إلى السبي والإبادة.

يُعطينا إشعياء واحداً من أعظم الأمثلة في الأنبياء وفي الكتاب المقدس عن خدمة النبي بالنتبوء بالمستقبل. لقد تنبأ إشعياء بأن فارس سوف تحتل بابل، وتوصل إشعياء إلى ذكر اسم الملك الفارسي الفاتح، كوروش الكبير، الذي سوف يُصدر قراراً يسمح لشعب يهوذا بالعودة من بابل لكي يبنوا هيكل الرب. لقد ذكر إشعياء كوروش بإسمه مرتين، مُتنبئاً عن هذه الحدث العظيم في التاريخ العبري.

يُخبرنا التقليد أن شيوخ اليهود المسيبيين أخذوا نبوة إشعياء وأروها لكوروش الكبير، شارحين له أن نبيهم الشيخ الذي عاش قبل مائة وخمسين سنة من ذلك التاريخ، سبق وتنبأ عن كوروش ذكراً إسمه بالتحديد، وقائلاً أن كوروش هو الذي سوف يُطلق شعبي من السبي. فحرّكت هذه النبوة العجيبة كوروش لإصدار قراره المشهور. وهو لم يمنحهم فقط إذناً بالرجوع، بل ساهم في توفير مواد إعادة بناء الهيكل. فتطبيقاً لنبوة إشعياء بحرفيتها، عندما اجتاحت فارس بابل، أول شيء عمله كوروش هو أنه أصدر قراراً يسمح لليهود بالعودة إلى أورشليم لبناء هيكلهم. " (إشعياء ٤٤ : ٢٨ – ٤٥ : ٧؛ عزرا ١ : ٢-٤).

واعظ عظيم

لا بُدَّ أَنْ إِشْعِيَاءَ كَانَ وَاعِظاً عَظِيماً. فَبِحَسَبِ يَسُوعَ، كَانَ يُوَحِّثُ الْمَعْمَدَانِ أَعْظَمَ نَبِيٍّ وَلَدْتَهُ امْرَأَةً (لوقا ٧: ٢٨). عَلَى آيَةٍ حَالٍ، فَالْإِصْحَاحُ الثَّلَاثُ مِنْ إِنْجِيلِ لُوقَا يُخْبِرُنَا أَنَّ هَذَا النَّبِيَّ الَّذِي كَانَ أَعْظَمَ مِنْ وَلَدْتِهِ امْرَأَةً، عِنْدَمَا جَاءَ لِيَعِظَ، وَعَظَّ مِنْ عِظَاتِ إِشْعِيَاءَ (لوقا ٣: ٤). وَبِمَا أَنَّ أَعْظَمَ نَبِيٍّ وَلَدْتُهُ امْرَأَةً وَعَظَّ مَوَاعِظَ إِشْعِيَاءَ، فَهَذَا يَعْنِي أَنَّ إِشْعِيَاءَ نَفْسُهُ كَانَ نَبِيَّ الْأَنْبِيَاءِ.

لَقَدْ وَعَظَّ إِشْعِيَاءُ عَلَى الْأَقْلَ لْخَمْسِينَ أَوْ سِتِّينَ سَنَةً. وَعَاصَرَ خَمْسَةَ مُلُوكٍ فِي يَهُودَا وَسِتَّةَ مُلُوكٍ فِي إِسْرَائِيلِ. وَلَكِنْ حَتَّى وَلَوْ كَانَ لَدَيْهِ الْكَثِيرَ لِقَوْلُهُ عَمَّا سَيَأْتِي عَلَى الْمَمْلَكَةِ الشَّمَالِيَّةِ عَلَى يَدِ أَشُورَ، كَانَ أَهْتِمَامُهُ الْأَسَاسِيَّ فِي يَهُودَا.

إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُكَوِّنَ فِكْرَةً عَنِ خَلْفِيَّةِ إِشْعِيَاءَ التَّارِيخِيَّةِ، إِقْرَأْ بَرْوِيَّةَ الْأَعْدَادِ الْأُولَى مِنْ نُبُوتِهِ. فَالْأَسْفَارُ النَّبَوِيَّةُ تُخْبِرُنَا عَادَةً عَنِ مَوْجِعِ نَبِيٍّ مَا فِي التَّارِيخِ بِإِخْبَارِنَا أَنَّهُ عَاشَ وَخَدَمَ خِلَالَ حُكْمِ مُلُوكٍ مُعَيَّنِينَ. بَعْضُ الْمُلُوكِ الَّذِي حَكَمُوا خِلَالَ فِتْرَةِ حَيَاةِ إِشْعِيَاءَ كَانُوا صَالِحِينَ، وَبَعْضُهُمْ كَانُوا أَشْرَاراً. أَحَدُ الْمُلُوكِ الْأَشْرَارِ فِي أَيَّامِ إِشْعِيَاءَ كَانَ مَنْسَى. وَيَقُولُ التَّقْلِيدُ أَنَّ مَنْسَى أَمَرَ بِوَضْعِ إِشْعِيَاءَ دَاخِلَ شَجَرَةٍ مُجَوَّفَةٍ حَيْثُ تَمَّ نَشْرُهُ إِلَى شِقِّينَ. مُفَسِّرُونَ كَثِيرُونَ يُؤْمِنُونَ أَنَّ إِسْتِشْهَادَ إِشْعِيَاءَ يَتَمُّ وَصْفُهُ عِنْدَمَا يَذْكَرُ إِصْحَاحُ الْإِيمَانِ فِي الْكِتَابِ الْمَقْدَّسِ أَنَّ بَعْضَ أَبْطَالِ الْإِيمَانِ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ "نُشِرُوا" (عبرانيين ١١: ٣٧).

تقسيم السفر

هُنَاكَ طَرِيقَةٌ صَحِيحَةٌ لِتَقْسِيمِ سَفَرِ إِشْعِيَاءَ. فَالْإِصْحَاحَاتُ التَّسْعَةُ وَالثَّلَاثُونَ الْأُولَى مِنْ سَفَرِ إِشْعِيَاءَ هِيَ رِسَالَةٌ إِشْعِيَاءَ التَّحْذِيرِيَّةَ لِشَعْبِ اللَّهِ مِنَ الْإِجْتِيَاكِ وَالسَّبِيِّ الْأَشُورِيِّ. وَالْإِصْحَاحَاتُ السَّبْعَةُ وَالْعِشْرُونَ الْبَاقِيَّةُ مِنْ إِشْعِيَاءَ هِيَ رِسَالَةٌ شِفَاءٍ وَتَعْزِيَّةٍ. وَكَأَنَّ الْإِصْحَاحَاتُ التَّسْعَةَ وَالثَّلَاثُونَ الْأُولَى هِيَ بِمِثَابَةِ "الْعَمَلِيَّةِ الْجِرَاحِيَّةِ الرُّوحِيَّةِ"، وَالْإِصْحَاحَاتُ السَّبْعَةُ وَالْعِشْرُونَ الْآخِرَةُ هِيَ عَمَلِيَّةُ الشِّفَاءِ الَّتِي تَلِي "الْجِرَاحَةَ".

إِنَّ طَرِيقَةَ تَقْسِيمِ إِصْحَاحَاتِ إِشْعِيَاءَ السَّتَّةِ وَالسَّتِينَ جَعَلَتْ بَعْضَ النَّاسِ يُقِيمُونَ تَوَازِيّاً بَيْنَ سَفَرِ إِشْعِيَاءَ وَالْكِتَابِ الْمَقْدَّسِ نَفْسِهِ. تَأْمَلْ بِهَذِهِ الْمُتَوَازِيَّاتِ الْمُدْهَشَةَ: فَهُنَاكَ سِتَّةٌ وَسِتُّونَ إِصْحَاحاً فِي سَفَرِ إِشْعِيَاءَ، وَهُنَاكَ سِتَّةٌ وَسِتُّونَ سِيفِراً فِي الْكِتَابِ الْمَقْدَّسِ. وَسَفَرُ إِشْعِيَاءَ يُقَسَّمُ إِلَى جَزَائِنَ مِنْ تِسْعَةٍ وَثَلَاثِينَ إِصْحَاحاً وَسَبْعَةَ وَعِشْرِينَ إِصْحَاحاً، وَالْكِتَابُ الْمَقْدَّسُ يُقَسَّمُ إِلَى جَزَائِنَ، الْعَهْدُ الْقَدِيمُ الَّذِي يَحْتَوِي عَلَى تِسْعَةٍ وَثَلَاثِينَ سِيفِراً، وَالْعَهْدُ الْجَدِيدُ يَحْتَوِي عَلَى سَبْعَةِ وَعِشْرِينَ سِيفِراً. الْجِزءُ الْأَوَّلُ مِنْ إِشْعِيَاءَ هُوَ مِثْلُ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ يَتَكَلَّمُ بِرِسَائِلِ التَّحْذِيرِ وَالتَّأْدِيبِ الصَّارِمَةِ، كَاشِفاً عَنِ حَالَةِ الْإِنْسَانِ الْمُزْرِيَّةِ وَالْحَلِّ الَّذِي يَجِدُهُ فِي اللَّهِ.

الجزء الثاني من إشعياء يُشبهه "العهد الجديد"، الذي يُقدِّم رسائل التعزية والرجاء للشعب الذي أدرك حاجته لمخلص، بسبب ما قرأوه في "العهد القديم" في سفر إشعياء ودلالته على الطريق للمخلص. العهد القديم يبدأ بالسؤال، "أين أنت؟" (تكوين ٣: ٩). العهد الجديد يبدأ بالسؤال، "أين هو؟" (متى ٢: ٢). إن هذين القسمين لسفر إشعياء يجعلاننا ندرُك حاجتنا لمخلص، ويُهدان لنا الطريق لنتقي مع العبد المتألم في إشعياء ٥٣.

دعوة إشعياء

هناك مقطعان من سفر إشعياء يُساعداننا على أن نتعرف على إشعياء نفسه كرُجل، كما مع خدمته ورسالته. المقطع الأول هو إشعياء ٦، الذي نجد فيه وصفاً لدعوة إشعياء، وتكليفه بالمهمة النبوية. ولربما نرى في هذا المقطع أيضاً وصفاً لتوبة وتجديد إشعياء. ففي كلمة الله، يدخل المؤمنون إلى حضرة الله بشكلٍ مُعبر، بطريقة تسمح لهم بالخروج من حضرته إلى العالم بشكلٍ مُعبر. إن الإصحاح السادس من سفر إشعياء يحتوي على وصفٍ لإختبار إشعياء بالدخول إلى حضرة الله والخروج من حضرته لإتمام عمله.

وبينما كان إشعياء يختبر دخوله إلى حضرة الله، سمع الرب يقول، "من أرسل ومن يذهب من أجلنا؟" (عدد ٨). وجواباً على هذا السؤال، تسمع إشعياء يُعبر عن إلتزامه بقوله، "هأنذا يا رب، أرسلني." إن هذا النموذج كثيراً ما نراه مُعلنًا في كلمة الله. فأولئك الذين يدخلون إلى حضرة الله بحق، يسمعون مأموريةً ويذهبون من أجل الله بحق.

ونرى الله يشرح الأمر بالقول، "يا إشعياء، إن الشعب لن يسمع لك. فليس الهدف من ذهابك أن يتوب شعب الله ويتجددون. لأنهم اختاروا بحرّيتهم أن يبتعدوا عني. ولكنني أريدك أن تذهب على أية حال، لأنني أريدهم أن يسمعون رسالتي." إن هذا صعب على الواعظ. تصوّر أن تكون واعظاً بدون أن يتجاوب أي شخص مع وعظك.

يُدهِشنا الإلتزام إشعياء بمأموريته. لقد سأل إشعياء ببساطة، "إلى متى عليّ أن أنتظر لكي يُصيحوا مُستعدين للإصغاء؟" فأجابته الله بما معناه، "إلى أن يُصيحوا جميعاً أمواتاً وعبداً وبلاذهم خربة ومهجورة" (إشعياء ٦: ١١، ١٢). إن الإلتزام إشعياء ينبغي أن يكون مثلاً لنا جميعاً. وبالْحَقِيقَة، إن الإلتزام جميع هؤلاء الأنبياء هو أعظم عظاتهم. لقد دخلوا في عقدٍ مع الله الذي أمرهم أن يذهبوا وهم أطاعوا مأموريته بأمانة وإخلاص.

إن مسؤوليتنا هي أن نعمل ما يدعونا الله له ويُكلِّفنا به. ونتيجة طاعتنا لمأمورية الله هي مسؤوليتنا. وحده الله الروح القدس، يقدر أن يُوتي الثمار. فمسؤوليتنا هي الأمانة والإثمار هو مسؤولية الله. ومسؤوليتنا هي أن نعمل ما دعانا إليه الله.

الفصل الثالث

"رسائل مسياوية"

نجد في وعظ إشعيا من النبوات المسياوية أكثر من أي سفر آخر من الأسفار النبوية. والعهد الجديد يقتبس إشعيا أكثر من أي سفر آخر من العهد القديم. فعندما تقرأ النبي إشعيا، فتش عن النبوات المسياوية في وعظه. في سفر إشعيا، سوف تجد تلك النبوة المختصة بالأسماء التي سنطلق على المسيا في مجيئه: "ويدعى اسمه عجيباً مشيراً، إلهاً قديراً، أباً أبدياً رئيس السلام" (إشعيا ٩ : ٦). ولقد أشار إشعيا بوضوح إلى أن المسيا سيكون الله في جسد إنساني، أو "الله معنا" (متى ١ : ٢٣).

يُخبرنا إشعيا أيضاً شيئاً عن جوهر الروح الذي سيُعبّر عنه من خلال المسيا في مجيئه: "ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت عُصن من أصوله. ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب. ولدته تكون في مخافة الرب." (إشعيا ١١ : ١-٣). هذا ما يُشار إليه في سفر الرؤيا "كسبعة أرواح الله." (رؤيا ٣ : ١، ٤، ٥، ٥ : ٦).

بما أن العدد ٧ يُشير في الكتاب المقدس إلى الكمال، فعندما يُخبرنا إشعيا عن المسيا الآتي، يُحاول القول، "إن المسيا الآتي سوف يكون التعبير الكامل عن روح الله. وسوف يُعبّر عن جوهر الله الروحي بهذه الطرق السبع. فمن حياته سيخرج روح المعرفة، وروح الفهم، وروح الحكمة، وروح النصح، وروح القوة، وروح العبادة، وروح الرب."

عندما تقرأ الأناجيل الأربعة، أية صورة فكرية تُكوّن عن يسوع في ذهنك؟ بحسب إشعيا، هذا ما سيكونه المسيا: حياته سوف تكون تعبيراً عن روح الحكمة والفهم. وسوف يعرف ويفهم كلمة الله بشكل كامل. فروح الحكمة تعني تطبيق المعرفة، ولهذا فإن يسوع سوف يُبرهن روح الحكمة عندما يُطبق كلمة الله على حياته وعلى حياة الآخرين. فسوف يُظهر بهذا روح النصح. وعندما يعمل هذا، ستكون هناك ديناميكية مُغيرة للحياة في حياته وخدمته، مُبرهنه بذلك روح القدرة والقوة.

وفي النهاية يتنبأ إشعياء قائلاً أنَّ المسيح سيُعبر عن روح العبادة أو مخافة الرب. ويُضيف بالقول أنَّه سيُسَرُّ بهذا التعبير النهائي عن روح العبادة. عندما تقرأ الأناجيل، سوف تجد أنَّه عندما لم يكن يسوع يخدمُ الناس، كان يُصَلِّي ويعبُدُ في الخلاء. اقرأ الأناجيل الأربعة، وحاول إيجاد ذلك التعبير السُّباعي عن إكتمالِ روح الله في حياة يسوع.

وفي النصفِ الأخير من القرنِ العشرين، كانت هناك نهضةٌ لمواهبِ الروح القدس. وعندما تُفسَّرُ إختباراتنا للروح القدس، نخلق الكثير من الإنقسامات والتشويش بسبب إقترافنا لأخطاء في طريقة تعبيرنا عن إختبارات الروح القدس. فمثلاً، هل سبقَ وسمعت أشخاصاً يُشيرونَ إلى مؤمنٍ مملوءٍ بالروح، أو راعي كنيسة مملوء بالروح، أو كنيسة مملوءة بالروح. إنَّ تطبيقَ هذا المفهوم المغلوط هو أنَّ هناك نوعين من المؤمنين أو الرعاة أو الكنائس: المؤمنين والرعاة والكنائس المملوئين من الروح، والمؤمنين والرعاة والكنائس الذين لم يمتلئوا أبداً من الروح.

فهل هذا ما يعنيه الكتاب المقدس عندما يُشير إلى كون الإنسان يمتلئ بالروح القدس؟ فكلُّ المؤمنين يُنصَحونَ في كلمة الله أن يمتلئوا من الروح (أفسس ٥: ١٨). واللغة الأصلية تُشير إلى ضرورة أن "نكون مملوئين بالروح." إن هذه الوصيَّة باللغة اليونانية وُضعت بطريقة تُشير بوضوح إلى كونها أمراً وليس خياراً، لكلِّ تلميذٍ حقيقي للمسيح.

فماذا يعني أن نكون مملوئين بالروح؟ يُخبرنا سفر الأعمال أنَّ بطرس "امتلاً من الروح القدس"، ووعظ تلك العظة يومَ الخمسين. ثمَّ نقرأ لاحقاً، "فامتلاً بطرس من الروح القدس"، ووعظ مجدداً وخلص الآلاف من الناس. ثمَّ نقرأ لاحقاً، "وامتلاً بطرس من الروح القدس"، وفعلَ هذا أو ذاك. فما بين هذه الأوقات التي يُخبرنا الكتاب عنها أنَّ بطرس امتلاً فيها من الروح القدس، هل كان مملوءاً بالروح أيضاً فيما بينها؟

الروح ليس مياهاً، ولا سائلاً، بل هو شخص. فإما أن يكون لدينا شخصُ الروح القدس في حياتنا، وإما لا يكون. والسؤال الحقيقي ليس "كم لديك من الروح القدس؟" بل السؤال هو، "كم يملكُ الروح القدس منك؟" ؟ فعندما يملكُ بكليَّتِكَ، تُصبح مملوءاً من الروح القدس.

فالشخصُ المملوءُ من الروح هو المُقَاد من الروح كُليّاً. قبلَ أن يأمرنا بولس بأن نكون مملوئين من الروح القدس، كتب يقول، "ولا تسكروا بالخمير الذي فيه الخلاعة، بل إمتلئوا بالروح." (أفسس ٥: ١٨). فكما أن الشخص السكران يكون تحت تأثير أو سيطرة الكحول، هكذا علينا أن نكون تحت تأثير أو سيطرة الروح القدس.

إن نبوة إشعياء الجميلة تُعلِّمنا أنه ليس على أحدٍ منا أن يخشى الإمتلاء من الروح. لأننا إن كنا مملوئين بالروح، وإن كنا تحت سيطرة روح الله، وإن كنا نُعيرُ عن جوهر الله في روحه، سنكون مثل يسوع المسيح عندما عبّر عن هذه الأبعاد السبعة لروح الله.

يُخبرنا إشعياء أن يسوع المسيح كان تعبيراً كاملاً عن روح الله. لقد كان يسوع مئة بالمئة مملوءاً بالروح ومقادراً بالروح. إن روح الله كان مُعبّراً عنه بشكلٍ كاملٍ في حياة يسوع المسيح. فكيف كان يسوع؟ اقرأ الأناجيل الأربعة لتعرف. هل يستطيع أحد أن يقرأ الأناجيل الأربعة بدون أن يرغب أن يكون كيسوع؟ إن حياته هي المثال الذي على أساسه علينا جميعاً أن نحيا حياتنا، إذ نُعيرُ عن جوهر الله الروح، لأن الله روح.

شارع الله

في إشعياء ٤٠ نجد نبوةً مسياويةً جديدة. "صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب. قوموا في القفر سبيلاً لإلهنا. كلُّ وطاءٍ يرتفع وكلُّ جبلٍ وأكمةٍ ينخفض ويصير الموعج مستقيماً والعراقيب سهلاً. فيعلن مجد الرب ويراه كلُّ بشرٍ جميعاً لأن فم الرب تكلم." (٣-٥).

عندما جاء يوحنا المعمدان ليكرز بمواعظ إشعياء، كانت هذه العظة الأساسية التي كرز بها (لوقا ٣: ٤-٦). هنا نجد واحدة من أعظم عظات إشعياء. فلقد قال إشعياء أن الله سيأتي إلى العالم في شخص ابنه، المسيا. ويشبه إشعياء هذا بملكٍ يذهب في رحلة. فإذا كان ملكٌ سيذهب في رحلة إلى قرية بعيدة، كانوا يُعدون له طريقاً خاصاً يسيروا عليها في رحلته إلى هذه القرية أو البلدة البعيدة. وكانوا يُسمونها "طريق الملك"، عند بنائها. وعندما تبني طريقاً أو شارعاً واسعاً، تعمل أربعة أمور: تجعل الجبال مُستوية، تملأ الوديان لتُصبِح سهلاً، تُقوِّم المسالك الموعجة، وتنعّم الطريق الخشنة لتجعلها سهلة للسير.

يستخدم إشعياء هذا الإيضاح المؤلف قائلًا، "الله يريد أن يأتي في رحلة إلى هذا العالم، ولكنه يريد طريقاً يمشي عليه. والطريق التي سيأتي عليها الله إلى هذا العالم هي حياة ابنه. إن حياة ابن الله سوف تكون حياةً يُمكن أن يُقال عنها التالي: "كلُّ وطاءٍ أو فراغ يرتفع وكلُّ جبلٍ وأكمةٍ من الكبرياء ينخفض ويصير الموعج بسبب الخطية مُستقيماً والعراقيب سهلاً بتأثير عمل ابن الله فيها. وسيكون هناك طريقٌ يدخل عليه الله إلى العالم، ويُبصر كلُّ بشرٍ مجد الله من خلال هذا الطريق."

بما أن يسوع كان يُظهر لنا كيف ينبغي أن نحيا، فهذا يعني أن حياتنا يجب أن تكون شارعاً لله. دعني أتحدّثك أن تُصلي هذه الصلاة: "يا الله اجعل حياتي طريقاً تأتي أنت عليها إلى العالم." عندما تُصلي هذه الصلاة، لا تتعجب عندما ترى جرّافات الله الروحية تأتي إلى

حياتك، وتبدأ بتمهيد جبال الكبرياء، وملء أودية الفراغ، وتقويم معوجات خطاياك، وتنعيم عراقيب شخصيتك الفظة. فعندما نُصلي أنا وأنت هذه الصلاة، سوف يُعلق الله على حياتنا يافطة تقول، "إنّبه: أشغال! الله يعمل هنا."

بَيَانُ النَّاصِرَةِ

عظة أُخرى عظيمة لإشعيا نجدُها في إشعيا ٦١، وهي نُبوّة مسياوية عن خدمة يسوع العلنية. فعندما بدأ يسوع خدمته العلنية لمدة ثلاث سنوات، بدأها ببيان يُسميه المُفسِّرون "بيان الناصرة". فلقد ذهب يسوع إلى المجمع في قريته وطلب سفر إشعيا النبي. وفتح الدرج على نهايته تقريباً، وقرأ هذه الكلمات: "رُوحُ الربِّ عليّ لأنّه مسحني لأبشِّرَ المساكين أرسلني لأشفي المُنكسري القلوب لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر وأرسل المُنسخقين في الحرية وأكرز بسنة الربِّ المقبولة." ثم أعلن قائلاً أنه اليوم قد تمّ هذا المكتوب في مسامعكم. (إشعيا ٦١: ١، ٢؛ لوقا ٤: ١٨).

لو قارنت نُبوّة إشعيا ٦١ مع إقتباس الربِّ يسوع في لوقا ٤، سوف تلاحظ أنه توقّف في منتصف العدد الذي يقول فيه إشعيا، "وبيوم انتقامٍ لإلهنا." لم يقرأ يسوع هذا الجزء من العدد لأنه يصف مجيئه الثاني. فالمسيّا سيأتي ثانيةً وينتقم من كلِّ أعداء الله. لهذا توقّف يسوع في مُنتصف هذا العدد وسلّم السفر إلى الراي، لأنه كان يُعلن بيانه للسنوات الثلاث من خدمته التي بدأت ذلك اليوم. فوقف يسوع في الوسط وقال، "اليوم تمّ هذا المكتوب في مسامعكم." (إشعيا ٦١: ١، ٢؛ لوقا ٤: ١٨-٢١).

ما كان يسوع بصددٍ إعلانه هو التالي، "روحُ الربِّ عليّ. لأنّه مسحني لأبشِّرَ المساكين." هؤلاء المساكين الفقراء الذين تكلم يسوع عنهم، كانوا فقراء بمعنى أنهم كانوا عُمياناً، ولم يعرفوا شمالهم من يمينهم. وكانوا فقراء بمعنى أنهم كانوا مُقيدين وغير أحرار. وكانوا مُنكسري القلوب ومجروحين.

فقال يسوع ذلك اليوم في قريته، "إنّ خدمتي موجهة للعُميان، وللمأسورين، وللمُنكسري القلوب. فعندما أعلن إنجيلي لهؤلاء جميعاً، العمي سوف يُصرون والمأسورون سوف يتحرّرون والمُنكسرو القلوب سوف يُشفون." بعد إعلان يسوع لبيان الناصرة العظيم هذا، بدأ خدمته العلنية التي استمرت ثلاث سنوات.

فبيان الناصرة الذي أعلنه يسوع يُظهر لنا كيف ينبغي أن ننظر إلى خدمة يسوع في الأناجيل الأربعة ولا سيما في إنجيل لوقا. عندما أراد يسوع، الذي كان الله معنا، أن يعلن بيانه الذي يُخبرنا عن هويته ومهمته، وعظ أيضاً مثل يوحنا المعمدان من إشعياء.

عندما تقرأ الأناجيل الأربعة، لاحظ ما فعله يسوع لمدة ثلاث سنوات بعد أن أعلن بيانه. لقد أعطى بصراً للأعمى جسدياً، وأعطى بصيرةً روحيةً للعميان روحياً. وأشفق على الجموع لأنهم كانوا كخراف لا راعي لها، لا يعرفون شمالهم من يمينهم. إن إعطاءه البصر للعميان روحياً كان صورةً مجازيةً عن خدمته التعليمية. وفي خدمته الإرشادية، أطلق المأسورين أحراراً. لقد وعد المأسورين بأنه سوف يقودهم إلى الحق الذي يحررهم إذا اتبعوه. (يوحنا ٨: ٣٠-٣٥).

فإن كنت أعمى روحياً، لا تعرف ماذا ستفعل، ولا تعرف يمينك من شمالك، وإن كنت مأسوراً، مكسور القلب، إفرح، لأن خدمة المسيحاً موجهة لك خصيصاً. إن رسالته هي أن يُلبي حاجتك، وأن يخلصك من العمى بمنح البصر. فإن لم تكن حراً، إن كنت مُدمناً، خاضعاً لسيطرة عادات سيئة وشهوات ونزوات، فإن خدمة المسيحاً موجهة لك. لقد جاء إلى العالم من أجل أشخاص نظيرك. وهو يريد أن يراك حراً. إن كنت مكسور القلب ومجروحاً لأن حياتك صعبة، تذكر أن يسوع جاء لأشخاص نظيرك. فهو يريدك أن تُشفى وأن تكون صحيحاً.

إن كنت قد اختبرت الخلاص العجيب الذي يتكلم عنه كل من يسوع وإشعياء في بيان المسيح، فعندما تخرج إلى العالم وتتفاعل مع الناس، تذكر أن خدمة يسوع موجهة أيضاً لهؤلاء. إسأل نفسك باستمرار عما إذا كان هؤلاء الناس عُمياناً، أو مأسورين، أو مُنكسري القلوب؟ فالمسيح الذي فيك سيقوم بالخدمة في حياتهم، كتلك الخدمة التي قام بها عندما كان على الأرض، وهو يريد أن يعمل هذه الخدمة من خلالك.

عندما قضى يسوع ساعاته الأخيرة مع الرسل قبل أن يموت على الصليب، أخبرهم أنه سيرسل لهم المعزي، الروح القدس، ليُمكث فيهم. هذا ما يقصده العهد الجديد عندما يُخبرنا أننا نحن أتباع المسيح، الكنيسة، نحن "جسد المسيح". فهو يحيا فينا. نحن يداؤه وقدماه وجسده الذي من خلاله يُعبر عن نفسه اليوم، مُعطي البصر للعميان، الحرية للمأسورين، الشفاء للمجروحين ولمكسوري القلوب في هذا العالم.

المخلص المتألم

بعد آخر لوعظ إشعياء المسياوي يركّز على موت يسوع المسيح. أعظم إصحاح في الكتاب المقدس حول موت يسوع المسيح نجده في إشعياء الإصحاح الثالث والخمسين، إذ

يبدأ إشعياء بالسؤال التالي: "من صدقَ حَبَرنا؟ ولَمَن اسْتَعْلِنَت ذِراعُ الرَّبِّ؟" تذكّر أنّ إشعياء كَلَّفَ بالوعظِ لشعبٍ لم يَكُنْ يَسمعُ أو يَؤمنُ. لقد كانَ إشعياءُ واعيًّا تمامًا لكونِ كَلِمَةِ الله عندما يُكْرَزُ بها تحتاجُ إلى أن يُعْلِنَ الروحُ القُدُسُ معناها للناس لكي يفهموها.

فما كانَ يسألهُ إشعياءُ هو التالي: "من يفهمُ فعلاً معنى موتِ يسوع؟" فجوهرُ تعليمِ إشعياء في هذا الإصحاحِ نجدُه في العددِ السادس، "كُنَّا كَعَنَمٍ ضَلَلْنَا مِلْنَا كُلَّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا. وَلَكِنْ كَيْفَ وَضَعَ اللَّهُ آثَامَنَا عَلَى الْمَسِيحِ؟" وهو مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعاصِينَا، مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ آثَامِنَا، تَأْدِيبٌ سَلَامِنَا عَلَيْهِ وَيَحْبِرُهُ شُفِينَا." (٥).

إنَّ العددَ السادسَ من هذا الإصحاحِ العظيم يبدأ وينتهي بالكلمة نفسها، "كُلُّنَا". فأوَّلُ مرَّةٍ يَستخدِمُ فيها إشعياءُ كلمةَ "كُنَّا"، يَستخدِمُها ليقول، "كُنَّا كَعَنَمٍ". هل تُؤمِنُ أنّ هذا يَشمَلُكَ أنتَ شخصيًّا؟" تذكّرُ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ في المزمور ٢٣، "الرَّبُّ رَاعِيٌّ... في مراعٍ خُضِرٍ يُرْبِضُنِي." (١-٢). عندما نَعْتَرِفُ أَنَّ الرَّبَّ رَاعِينَا، نَكُونُ نَعْتَرِفُ أَيضاً أَنَّنَا مُجْرَدٌ خِرَافٍ. وَهنا في هذا العدد العميق من سفرِ إشعياء، نجدُ مكاناً يُشجِّعُنَا فِيهِ الكِتَابُ المَقْدَسُ أن نَعْتَرِفَ أَنَّنَا خِرَافٌ. كُنَّا خِرَافٌ ضَالَّةً، كُنَّا خُطَاةً، ضَلَلْنَا عن طَرِيقِنَا.

المرَّةُ الثَّانِيَةَ التي يَستخدِمُ فيها إشعياءُ كَلِمَةَ "كُنَّا" يُعْطِينَا فِيهَا الخَبَرَ السَّارِ. "والرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا [أَي كُنَّا]". فَهَلْ تُؤمِنُ بِأَنَّكَ مَشْمُولٌ بِهذه الكَلِمَةَ الثَّانِيَةَ "جَمِيعِنَا" التي يَستخدِمُها إشعياءُ في المرَّةِ الثَّانِيَةَ؟ إذا اعترفتَ أنّ "كُنَّا" الأوَّلَى تَشمَلُكَ، وإذا اعترفتَ أنّ "جَمِيعِنَا" الثَّانِيَةَ التي يَستخدِمُها إشعياءُ تَشمَلُكَ أَيضاً، عندها تكونُ فعلاً تَعْتَرِفُ بما تحتاجُ أن تَعْتَرِفَ به لكي تُطَبِّقَ معنى موتِ يسوع المسيح على الصليب في حياتِكَ. عندها بإمكانِكَ أن تَحْتَبِرَ الخِلاصَ الذي أُعْلِنَ عندما استخدِمَ اللهُ حياةَ ابْنِهِ كشارعٍ يَأْتِي من خِلالِهِ إلى العالمِ.

الفصل الرابع

نُبُوَّةُ إرميا

"مُسَلْسَلُ النَحِيبِ"

النبيُّ التالي من بين الأنبياءِ الكبارِ في العهدِ القديمِ، هو النبيُّ إرميا. فإرميا يُسمَّى "النبي الباكّي"، لأنَّهُ يبدو أَنَّهُ كانَ يبكي طَوالَ الوقتِ. في الحقيقة، إن سفرَ نُبُوَّةِ إرميا ما هُوَ إلا مُسَلْسَلٌ من البُكاءِ والنحيبِ. لهذا السبب، من الصعبِ جداً أن نضعَ مُخَطَّطاً لسفرِ إرميا. فالناسُ لا ينتحبون بشكْلِ مُنظَّم. فبعدَ أن يبكي إرميا طَوالَ إثني وخمسينَ إصحاحاً، كتبَ شعراً صغيراً، الذي يُعتَبَرُ بمثابةَ مُلَحَقٍ لِنُبُوَّتِهِ، ويُسمَّى "المراثي". فالمراثي تعني "البُكاء". وهكذا فإن إرميا يُتابعُ البُكاءَ في هذه التُحفةِ الأدبيَّةِ من الرثاءِ الشّعري.

الخلفيَّةُ التاريخيَّةُ

لماذا يبكي إرميا؟ لماذا هو حزينٌ إلى هذا الحدِّ؟ وماذا كانت مُعاناةُ قلبه؟ لكي نُجيبَ على هذه الأسئلة، عليك أن تفهَمَ الإطارَ التاريخي الذي عاشَ فيه هذا النبيُّ حياتَهُ غيرَ الإعتياديَّةِ، وكرزَ وكتبَ نُبُوَّتَهُ التي تُسمِّيها "سفرِ إرميا".

في الأعدادِ الإفتتاحيَّةِ من سفرِ إرميا، نُخبِرُ أن إرميا بدأَ خِدْمَتَهُ في السنةِ الثالثةِ عشرَ من مُلْكِ يُوْشِيَّا، وخدمَ إرميا حتَّى نهايةِ حُكْمِ صدقيَّا، أي حوالي إحدى وأربعينَ سنةً. بدأَ خِدْمَتَهُ عندما كانَ يجلسُ ملكٌ صالحٌ على عرشِ يهوذا، هو يُوْشِيَّا. وبينما كانَ بعضُ العُمَّالِ يُعيدونَ بناءَ الهيكلِ في زَمَنِ يُوْشِيَّا، وجدوا أسفارَ كلمةِ الله. لقد ابتعدَ شعبُ اللهِ روحياً عن الله، لدرجةِ أَنَّهُم نسوا أن كلمةَ اللهِ أو أن الناموسَ كانَ موجوداً. والملوكُ الآخرون الذين ذُكروا في الأعدادِ الإفتتاحيَّةِ لسفرِ إرميا هم الذين لحقوا فترةَ حُكْمِ يُوْشِيَّا، وفتراثُ حُكْمِهِم مُرتبِطَةٌ بسقوطِ أورشليمِ والسبيِ البابلي.

فسقوطُ أورشليم كان كارثة امتدَّت على مدى حوالي عشرين سنةً. وأوَّل مرَّة سقطت فيها أورشليم كان يهوياقيم ملكاً. فاستسلمَ لجيوش نبوخذنصرَ وخدمَ نبوخذنصرَ في أورشليم مُدَّة ثلاث سنوات. وعندما احتلَّ نبوخذنصرَ أورشليم، دخلت إليها جيوشُ بابل. وأرغمَ اليهودُ على خدمةِ البابليين ودفعِ الجزية لهم. ولكن، بعدَ ثلاثِ سنوات، تمرَّدَ يهوياقيم، فعادت جيوشُ نبوخذنصرَ إلى أورشليم ثانيةً. وعندما سقطت أورشليم ثانيةً، كانَ يهوياكين ابنُ يهوياقيم الذي كانَ لا يزالُ طفلاً، كانَ ملكاً على يهوذا، فسلمَ المدينةَ بسهولة. في هذه المرَّة، أخذَ البابليُّونَ الكثيرَ من شعبِ يهوذا إلى بابل كأسرى للسبي.

وعندما سلَّمَ يهوياكين المدينةَ للمرَّة الثانية، نُصِبَ أخوهُ صدقيًا ملكاً دُميَّةً على أورشليم. لقد حكمَ صدقيًا لمدَّة ١١ سنةً، ولكنهُ تمرَّدَ مُجددًا على البابليين. وفي هذه المرَّة، جاءت جيوشُ بابل وسحقت مدينةَ أورشليم، فلم يبقَ فيها حجرٌ على حجر. وهكذا عندما احتلَّ البابليُّونَ أورشليم للمرَّة الثالثة، أخذوا الجميعَ أسرى إلى بابل باستثناءِ الشيوخ العجائز، والمرضى، والضُّعفاء، والنبي الباكي إرميا.

في زمنِ حُكم يوشيا، أعطى اللهُ النبيَّ إرميا إعلاناً نبويًّا عن هذه الكارثة بكاملها. لقد بدأ إرميا يعظُ أنَّ الإجتياحَ البابليَّ آتٍ، وأنَّ السبيَ والاحتلالَ الناتجين عنه كانا آتيين أيضاً، وذلك بسببِ خطيئةِ الشعب. وكانت خطيئتهمُ بشكلٍ أساسيٍّ هي عبادةُ الأوثان، بالإضافةِ إلى كُلِّ الخطايا التي نتجت عن إرتدادهم وإهمالهم لكلمةِ الله.

أولاً، إنَّ رسالةَ نبي مثل إرميا وإشعيا وأخرونَ مثلهم، كانت بما معناه: "إذا تواضع شعبي، الذي دُعِيَ إسمي عليهم وصلُّوا وطلبوا وجهي، ورجعوا عن طُرُقهم الرديَّة، فإنِّي أسمعُ من السماء، وأغفرُ خطيئتهم، وأبريء أَرْضهم." (أخبار الأيام الثاني ٧: ١٤). ولكن، عندما لم يسمع الشعبُ إلى وعظِ الأنبياء، تغيَّرت رسالةُ هؤلاء الأنبياء. عندها كرزَ أنبياءُ مثل إرميا قائلين: "إن دينونةَ الله آتيةٌ لا محالة، ولا مفرَّ منها."

رَجُلٌ مَكْرُوهٌ

عندما بدأ حصارُ أورشليم، كرزَ إرميا برسالةٍ لم تُكنْ محبوبَةً أبداً من الشعب، فأصبحَ مَكْرُوهاً. كانَ لرسالةِ إرميا وجهان. الوجهُ الأوَّلُ كانَ أنَّ الإحتلالَ والسبيَ آتيين. والوجهُ الثاني كانَ رسالةَ رجاء. فعلى خلافِ سبي المملكةِ الشمالية، كانَ لدى الأنبياء الذين تنبَّأوا بالإجتياحِ البابلي وسبي المملكةِ الجنوبية، كانَ لدى هؤلاء الأنبياء رسالةَ رجاء ليكرزوا بها: "بعدَ سبعينَ سنةً من سبيكم إلى بابل سوفَ ترجعونَ إلى أَرْضكم."

ولقد آمنَ إرميا وكرزَ برسالةِ الرجاء هذه بإسهاب، لدرجةِ أنَّه عندما بدأت جيوشُ البابليين بحصارِ أورشليم، بدأ إرميا بالوعظِ برسالةِ الرجاء: "إنَّها خطَّةُ الله التي لا تُنقُض. وليس

بوسعكم أن تعملوا شيئاً حياً لها، لهذا فالأفضل لكم أن تخرجوا وتستسلموا لنبوخذنصر.
إذهبوا إلى بابل، لأنكم بمقدار ما تسرعون بالذهاب، ستسرعون بالرجوع."

ولأن إرميا وعظ أن شعب يهوذا ينبغي أن يستسلموا، لهذا كرهه شعب يهوذا. وقالوا أن رسالة إرميا كانت خيانة، وبمعنى ما كانت كذلك. فألقوا به في زنزانية، ثم في بئر فارغ من المياه ولكن مليء بالأوحال. وتركوه هناك يجوع ويعيش مع الجردان.

كان إرميا وبعض الأنبياء نظيره سيفعلون أي شيء لكي يُعبروا عن رسالتهم. ولقد كان الأنبياء يُعبرون أحياناً بطريقة تمثيلية حياتية بما يُسمونه "عمل الوعظ الرمزي". فمثلاً، نجد عمل وعظ رمزي عظيم في إرميا ١٨، حيث نجد عظة إرميا العظيمة عن "إعادة صنع الوعاء الآخر". لقد وعظ إرميا أن الله قال له أن ينزل إلى مصنع الفخار، فنزل. وبينما كان هناك راقب الفخاري يصنع إناءً. ولقد كان الفخاري يحاول أن يصنع إناءً جميلاً، ولكن إناء الفخار لم يكن طائعا بين يدي الفخاري كما ينبغي، ولم يخرج من يديه كما أراد. فاشمأز الفخاري من الإناء، وطرحه أرضاً وكسره وصنع منه إناءً آخر.

عندما كرر إرميا برسالته هذه، كان يحاول أن يقول للناس التالي: "أنتم مثل ذلك الإناء الذي كان يحاول صنعه الفخاري السماوي، أي الله. ولكن لم تكونوا طائعين لتخرجوا من بين يديه كما أرادكم. لهذا فالله يُؤدبكم، ويدينكم، مما يعني أنه يأخذكم إلى بابل، وسوف يُعيد صناعتكم، وسيعيدكم من بابل كإناء آخر جديد."

لا تكون حياتك وحياتي أحياناً كما خطط لها الله. لهذا، فالله يُعيد صناعة حياتنا. هل تشعر وكأن إناء حياتك طرح أرضاً وسحق فوق كومة من الفخار المحطم؟ وكأنك طرحت على كومة الفخار وأعيد صناعتك كإناء جديد؟ قد يكون الانتقال من الإناء القديم إلى الجديد نزاعاً مريراً، ولكن بعد أن يُشكّل هذا الإناء الجديد، يصبح مجيداً. كما كتب بولس يقول: "إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة." (٢كورنثوس ٥: ١٧).

علينا أن نفثس عن التطبيقات الشخصية للمواعظ العميقة التي ألقاها هذا النبي العظيم. هناك أوقات يحتاج الله فيها أن يُؤدبنا ويُعيد صناعتنا إناءً جديداً. عندما تصبح عواقب خطايانا لا مفر منها، وعندما تصبح آثارها في حياتنا لا يمكن إصلاحها، نحتاج أن تُعاد صناعتنا كإناء جديد، تماماً كما حدث في قصة الإناء الفخاري التي وعظها إرميا. للأسف، معظمنا لا نطلب من الله أن يُغيّر حياتنا، تماماً كما رفض الشعب كرامة إرميا.

الإناء المسحوق

ذات يوم، قال الله لإرميا أن يبتاع إناءً كبيراً وجميلاً، ويأخذ معه بعض الشيوخ والكهنة، ويذهب إلى مدخل باب الفخار. وعندما جذب انتباه الشعب، أخذ هذا الإناء الجميل والتمين،

وطرحه أرضاً فتحطم كُلياً. عندها ألقى إرميا عظةً تطبيقيةً عن الإناء المُحطم فقال، "أنتم الذين تُحاربون نبوخذنصر، وتتمرّدون على البابليين وترفضون الخُضوع، سوف تنسحقون مثل هذا الإناء، ولكن بدون إعادة صناعة إناءٍ آخر منه، وبدون رجوع. بل سوف تكون نهايتكم بذلك." (إرميا ١٩: ١٠، ١١).

نُبُوءَات مَسَاوِيَّة

عندما كان إرميا يتكلّم برسائله عن السبي والرجاء، مزج نُبُوءاته عن العودة من السبي مع نُبُوءاته عن رُجوع المسيّا، كما فعل إشعياء. لقد كان مجيء المسيّا الرجاء النهائي، ليس فقط لليهودا، بل أيضاً للعالم أجمع.

نجد هكذا رسالة في إرميا ٢٩: ١١-١٤. كان شعبُ يهوذا في بداية ذهابهم في السبي البابلي. فقال لهم الله على لسان إرميا، "لأنني عرفت الأفكار التي أنا مُفكّرٌ بها عنكم يقول الرب أفكار سلام لا شرٍ لأعطيكم آخرةً ورجاءً. فتدعونني [أي عندما تُصبحون في بابل] وتذهبون وتصلون إليّ فأسمع لكم. وتطلبونني فتجدونني إذ تطلبونني بكلّ قلبكم. فأوجد لكم يقول الرب وأردّ سبيكم وأجمعكم من كلّ الأمم ومن كلّ المواضع التي طردتكم إليها يقول الرب وأردكم إلى الموضع الذي سبيتكم منه" (١١-١٤).

إن هذه لم تكن إلا مُلخصاً لعظةٍ رائعة ألقاها إرميا على شعب يهوذا قُبيل ذهابهم في السبي إلى بابل. قال لهم إرميا في بداية سبيهم، "أباكم المُحب لديه خطةٌ لتأديبكم. وهذه الخطة ليست لضرركم. بل كأبٍ حنونٍ يُؤدّبكم الرب، وهذا لخيركم، وليس لضرركم. فالله يُريد أن يُعطيكم رجاءً ومُستقبلاً. فعندما ستكونون في بابل، سوف تطلبون الله من كلّ قلوبكم. وهنا سيكون وعدُ الله لكم: إذا فعلتم هذه الأمور، سوف يسمع الله صلاتكم، وسوف يوجّد منكم. وسوف يُرجعكم الله من سبيكم."

عندما تنبأ إرميا عن السبي، كان مُستعداً أن يتحمّل شتى أنواع العذاب والإضطهاد لأجل رسالته. لقد آمن برسالته لأنّ الله أخبره أنّها الحقيقة. ولقد كانت كذلك بالفعل. فالملاحظة الجديرة بالإعتبار حيال نُبُوءات إرميا، هي أن كلّ نُبُوءات إرميا تحققت بحذافيرها.

عندما تقرأ نُبوّة إرميا، فتش عن رسالته عن التأديب والدينونة من قِبَل الله على شعب يهوذا. ولكن لا تُغفل رسالة الرجاء. بل طيّق رسالة تأديب الله والرجاء اللاحق عندما خضع شعب يهوذا للتأديب. وطبق هاتين الرسلتين على حياتك الشخصية، وتذكّر

التالي: عندما يُؤدِّبُكَ اللهُ، يعرفُ خطئَهُ لَكَ، التي ليست لضررك بل لمنفعتِكَ الروحية، خطة تمنحك رجاءً ومُستقبلاً. المُهم هو أن تتجاوبَ مع تَأديبِ اللهِ بطريقةٍ صحيحة، لكي يردَّكَ اللهُ من إختبارِكَ الشخصي في ضلالةِ السبي ويُعيدُ صناعتَكَ إناءً جديداً.

الفصلُ الخامس

مُرْنِمُ السبي

عندما كانَ الشعبُ على وشكٍ أن يذهبوا مُقَيَّدِينَ بالأغلالِ إلى بابل، أعطاهم إرميا بعض كلمات الرجاء ليتحمَّلوا السبي. فأولئك الذين نجوا من الذبح عندما سقطت أورشليم، صدموا من الحُزن والهلع والرُّعب. إن كلمات إرميا الممسوحة هذه، جاءت لتُساعدَهُم على إحتِمالِ سبعينَ سنةً من السبي: "لا يفتخرنَّ الحكيمُ بحِكمَتِهِ، ولا يفتخر الجبَّارُ بجبروتِهِ، ولا الغنيُّ بِغِنَاهُ، بل بهذا ليفتخرنَّ المُفتخرنَّ: بأنَّهُ يفهمُ ويعرفُني أنا الربُّ الصانعُ رحمةً وقضاءً وعدلاً في الأرض لأتِّي بهذه أسراً يقولُ الربُّ." (إرميا ٩: ٢٣-٢٤).

الكلمةُ الأخرى التي تُستخدَمُ في بعض الترجمات هي كلمة "مجد." إنَّ فحوى ما يقوله إرميا هو شيءٌ كالتالي: "إن كُنْتُمْ أغنياء، لا تفتخروا بِغناكم. وإن كُنْتُمْ أقوياء، لا تفتخروا بقوَّتكم. وإن كُنْتُمْ حُكَماء، لا تفتخروا بحِكمَتكم." إن كلمة "مجد" تعني، "أن تُفجِّرَ كُلَّ الطاقاتِ المُتوقِّرة في وضعٍ ما، لكي تُعبِّرَ عن ملءِ جوهرِ ماهيةِ الله في حياتنا."

في هذا الوضع، يُطبِّقُ إرميا هذه الكلمة، ولكنَّهُ يُطبِّقُها ليسَ على الله، بل على الشعبِ الذاهِبِ إلى السبي. مثلاً، يقولُ إرميا للرجُلِ الغني، "لم يَعدْ بإمكانِكَ أن تعتمدَ على الغنى لكي تُفجِّرَ الطاقةَ الكامنة في كيانِكَ. ينبغي عليك أن لا تفتخرَ بالغنى لأنَّك لن تجدَ فيه شبعَكَ." إنَّ الأغنياءَ الذين ذهبوا مُقَيَّدِينَ في السبي، جُردوا من ثرواتِهِم. لربَّما كانوا يفتخرونَ بِغناهم قبلَ سقوطِ أورشليم، ولكن ليسَ بعدَ سقوطِها. ويقولُ إرميا بالمعنى ذاته للحكيم والقوي، "أيُّها الحكيمُ، لربَّما لا تشعُرُ أنَّكَ حَكِيمٌ الآن، كونكَ تُفادُ بالأغلالِ خارجَ بلادِكَ. ويا أيُّها القويُّ، لا تفتخرَ بقوَّتِكَ. فعندما تغدُون عبيداً ستُصبحونَ تقاتلونَ على الفئاتِ وستُصابونَ بالضعفِ والهزالِ."

حتى الآن، يبدو هذا كرسالةٍ سلبيةٍ. ولكن إليكم الجزء الإيجابي من رسالة إرميا. يقول الله لهؤلاء العبيد من خلال إرميا، "إن كنتم فعلاً تُريدون أن تفهموا معنى وهدف الحياة، وأن تُفجروا كُلَّ طاقَتكم، تعالوا إليّ واعرفوا من وما أنا. بهذه الطريقة ستكتشفون على الأرض جوهر ما هو الله في السماء. سوف تفهمون جوهر كياني ومن ثمَّ جوهر كيانيكم، إذا فهمتم بأنني أعلنتُ نفسي على الأرض من خلال صفاتي." صفاتُ الله هي التي تُشكِّلُ شخصيَّةَ الله وماهيَّتهُ.

في هذه العظة العظيمة لإرميا، قالَ هذا النبي، "اللهُ يُمكنُ أن يُعرَفَ بهذه الطريقة، من خلال شخصه، أي من خلال محبته الثابتة، ومن خلال برِّه وعدله المُطلق." ألم يُعطِ هذا الوعظُ للشعبِ السالكِ في السبي إلى بابل مادةً لُيفكِّروا فيها على الطريق؟ لقد عرفوا أنَّهم لن يجدوا شعبهم ومعنى حياتهم في الغنى أو الحكمة أو القوَّة. بل عرفوا أنَّه عليهم أن يجدوا معنى حياتهم في أمورٍ أُخرى. لقد قالَ إرميا، "إنَّ هذا هو الوقتُ المُناسبُ لكي تجدوا معنى وشعب حياتكم في معرفة الله. عندها سيكونُ لديكم شيء لا يستطيع أحدٌ أن ينزعه منكم."

بُرهانُ عودتهم

في الإصحاحات ٣٢ و٣٣، نقرأ عن أحدِ أدقِّ الأمور التي عملها إرميا. وكان هذا في أوج الحصار ونهاية حُكمِ صديقيَّ، عندما كانت مدينةُ أُورشليم على وشكِ السقوط. فعندما كان إرميا في السجن بسبب ما كان يعظُّ به، حصلَ على إعلانٍ من الله. وكان الإعلانُ هو التالي: سوف يأتي قريبك حنمئيل ويطلبُ إليك أن تشتريَ منه قطعةً أرضٍ في عناثوث. وعندما كانت أُورشليم تحت الحصار، تدنَّت قيمةُ العقاراتِ كثيراً. وبالتأكيد لم يكن الوقتُ مُناسباً بتاتاً لشراءِ مزرعةٍ خارجِ أُورشليم. فجاء حنمئيل، وطلبَ أن يرى النبيَّ إرميا في السجن. فقالَ حنمئيل، "لديَّ ذلكَ الحقلُ في عناثوث، فوضعَ الله على قلبي أن أبيعَكَ هذا الحقل."

وافقَ إرميا على شراءِ الحقل، وجعلَ من شرائه هذا الحقل قضيةً كبيرةً. فجلبَ شهوداً ومُحاميين وكتبة، وجعلَ صفقةَ البيعِ هذه رسميةً ونهايةً. وأخذَ الصكَّ المُوقَّعَ بشهودٍ ووضعَهُ في إناءٍ خزفي، وختمَهُ لكي يبقى لسنينٍ كثيرة. ثمَّ ألقى عِظَةً تمثيليةً رمزيةً رائعة، وقال، "لقد قُلْتُ لَكُمْ أَنَّكُمْ سترجعونَ من السبي البابلِي. فدعوني أبرهنُ لَكُمْ أَنِّي أؤمنُ بما أتنبأُ به. لقد اشتريتُ لتويَ عقاراً يبعُدُ حوالي الخمسة كيلومترات عن أُورشليم. فهل تظنونُ أَنِّي كنتُ سأفعلُ ذلكَ لو لم أكنُ أؤمنُ بأنَّكُمْ سترجعونَ؟" في إرميا ٣٢، نجدُهُ يُلقي عِظَةً الرجاءِ الجميلة هذه.

إن عظة الرجاء الجميلة هذه التي بدأها إرميا في الإصحاح ٣٢، شكَّلت الإطار الذي فيه كتب إرميا الكلمات المألوفة التالية: "هذا ما يقوله الرب... أدعني فأجيبك وأخبرك بعظائم وعوائص لم تعرفها." (إرميا ٣٣: ٣). هل سبق لك ودعوت الله؟ إنه يريدنا جميعاً أن ندعوه لأنه يريد أن يُرينا أموراً عظيمةً وقديرة لم نرها من قبل.

فكما ترون، ليس وعظ إرميا بكامله هولٌ وويل. بل هناك الكثير من الرجاء للشعب في وعظه. وكان هذا الرجاء الوحيد الذي كان لشعب يهوذا عند سقوط أورشليم وذهابهم للسبي البابلي.

مُعَانَةُ الْقَلْبِ

بينما نُلقِي نظرةً سريعةً على عظات إرميا الأخرى، لنتذكَّر أننا لا ندرُسها بالتسلسل التاريخي. فإن إرميا وكاتبه باروخ لم يُسجِّلوا هذه العظات بالترتيب الذي وعظها به إرميا، بل كما تذكَّرها تباعاً عندما كان لاحقاً في السجن.

مُوجزٌ إحدَى أجملِ عِظاته موجودَةٌ في بداية السفر. قال فيها الربُّ على فم إرميا، "لأنَّ شعبي عملَ شرِّين. تركوني أنا ينبوع المياهِ الحية ليَنفُروا لأنفسهم آباراً آباراً مُشَقَّقةً لا تضبُط ماءً." (إرميا ٢: ١٣)

كان إرميا يقولُ أنَّ الشعبَ اقترفَ خطيئتين: لقد ابتعدوا عن الله، وابتعدوا عن الحكمة التي تأتي من الله بواسطة كلمته. لقد صدَّق الشعبُ الكتبة الكذبة الذين جعلوا من ناموس الله كذباً، كما قال إرميا. كتب هذا النبي العظيم يقول، "كيف تقولون نحنُ حُكَمَاءُ وشرِيعَةُ الربِّ معنا. حقاً إنَّه إلى الكذبِ حَوَّلَهَا قَلَمُ الْكُتَّابَةِ الْكَاذِبِ" (٨: ٨). فالآن عندما تتجحُّ أقلامُ الكُتَّابَةِ الْكَذَّابَةِ في إقناعكم أنَّ كلمةَ اللهِ غيرَ جديرةٍ بالثِّقَّة، فماذا سيبقى لكم لتؤمنوا به؟ يبقى مُجرَّد الحكمة والفلسفة الإنسانيَّة. ثمَّ سأل إرميا، "أَيُّ حِكْمَةٍ عِنْدَ هَؤُلَاءِ بِالْمُقَارَنَةِ مَعَ حِكْمَةِ كَلِمَةِ اللهِ؟"

هل يتغيَّر النَّاسُ؟

هل تعلمُ أنَّ الكتاب المقدَّس لا يُطالِبُكَ أو يأمُرُكَ بأن تتغيَّر، وبأن تُحاولَ أن تُحسِّنَ وضعك؟ أنا أتعجَّبُ من عددِ الناسِ الذي يُفكِّرونَ أنَّ هذا هو كُلُّ ما في المسيحيَّة: أن تعملَ أفضلَ ما لديك، وأن تُحاولَ أن تكونَ أحسن. ليس هذا ما يُعلِّمُ به الكتاب المقدَّس. لا بل إنَّ إرميا يسخرُ منَّا عندما نُحاولُ أن نُغيِّرَ نُفوسنا. فهو يعظُ قائلاً، "لماذا تركضين لتبديلي

طريقك." "هل يُغيّر الكُوشِيُّ جِلْدَهُ أو النَّمْرُ رُقْطَهُ. فأنتم أيضاً تقدرون أن تصنعوا خيراً أيّها المتعلّمون الشرّ." (إرميا ٢: ٣٦).

نحن لا نستطيع أن نغيّر أنفسنا. تنصّحنا كلمة الله في رومية ١٢: ٢ قائلةً، "تغيّروا... بتجديد أذهانكم." ويخبرنا يسوع بأنّه علينا أن نولد ثانيةً. عندما نتغيّر أو نولد ثانيةً، يكون هذا بالنسبة لنا إختباراً سلبياً. وهو يختلف عمّا يقوله لنا الآخرون أنّه علينا أن نتغيّر وأن نبذل جهدنا لنكون أحسن.

من يعرف قلوبنا؟

قال إرميا أيضاً عن القلب الإنساني، "القلب أخدع من كلّ شيء، وهو نجيس من يعرفه؟" (إرميا ١٧: ٩). ثمّ يأتي الجواب، أنّ الله وحده يستطيع أن يعرف خداع القلب الإنساني. "أنا الربُّ فاحصُ القلبِ مُختبرُ الكلى لأعطي كلّ واحدٍ حسبَ طُرُقِهِ حسبَ ثمرِ أعمالِهِ" (١٠).

الله يعرف قلبك. قد تنجح في خداع عائلتك وأصدقائك وحتى نفسك، ولكنك لن تستطيع خداع الله. فهو يعرف قلبك ويريد أن يجددك. صلِّ كما صلّى الملك الحكيم داود قائلاً، "اختبرني يا الله، واعرف قلبي، امتحني واعرف أفكاري، وانظر إن كان فيّ طريق باطل، واهدني طريقاً أبدياً." (مزمو ١٣٩: ٢٣ - ٢٤).

علينا أن نفثس عبر سفر إرميا عن التطبيقات الشخصية العميقة للعظات العميقة لهذا النبي العظيم. هناك أوقات يحتاج فيها الله أن يؤدبنا ويُعيد صناعتنا كآنية جديدة. عندما تُصبح عواقب خطايانا لا مفرّ منها، وتُصبح آثارها ظاهرةً لا رجاء بإصلاحها، نحتاج أن تُعاد صناعتنا كإناء جديد، كما وعظ إرميا عندما أرسله الله إلى بيت الفخّاري.

الفصل السادس

"أخبارُ الله المُحزنة"

رأى إرميا رؤيا عن سلّتي تين. (إصحاح ٣٤). بعضُ هذا التين كان طازجاً وناضجاً، وبعضُ هذا التين فسدَ واهترأ ولم يعد صالحاً للأكل. فقال الربُّ لإرميا، "إنَّ التينَ الجيد يُشيرُ إلى الذين يذهبونَ في السبيِ إلى بابل. فلقد أرسلتُهُم للسبيِ لصالحهم. وسوف أسهرُ على راحتهم وأعيدُهُم إلى أرضهم ثانيةً. سوف أساعدهم ولن أؤذِيهم. سوف أغرسُهُم ولن أقلعهم. وسوف أعطيهم قلباً يتجاوبُ معي. سيكونونَ لي شعباً وأنا أكونُ لهم إلهاً. لأنهم سوف يرجعونَ إليّ بفرحٍ كبيرٍ."

"وأما التينُ الفاسدَ فيمثلُ صدقيّاً، ملك يهوذا، وقادتهُ وكلُّ أولئك الذين سيقونَ هنا في أُورشليم، وكذلك أولئك الذين سينزلونَ إلى مصر. سوف أعاملُهُم كالتينِ الفاسدِ الرديءِ الذي لا يصلحُ أكله. سوف أرسلُ السيفَ والجوعَ والوبأَ عليهم حتّى أفنيهم."

هذه عِظَةٌ لإرميا كرّرها مراراً. كانَ هناك نوعانِ من الناسِ في أُورشليم عندما كانت على وشكِ السقوطِ بيدِ البابليين. أولئك الذي أدركوا أنّ السبيَ هو تأديبٌ من الله، ولهذا ذهبوا إلى السبيِ وقَبِلوا تأديبَ الله وتابوا. وأولئك الذين، أمثالَ الملكِ صدقيّاً، رفضوا أن يعترفوا بهذا كإرادةِ الله، ورفضوا وعظَّ إرميا وتمردوا على البابليين، فانتهى بهم الأمرُ مثلَ الإناءِ المسحوقِ أو مثلِ التينِ الفاسدِ الذي لا يُؤكلُ من رداءتهِ.

حُججٌ ضدَّ الفلسفةِ الإنسانيّةِ

هناك عِظَاتٌ أُخرى لإرميا تُعَارِضُ ما نُسمِّيهِ اليومَ الإنسانِيَّةَ. فهناك إيديولوجِيَّاتٌ تظهرَ وتكْبُرُ في أَيامنا، نَظْمُها جَدِيدَةٌ ومُعاصِرَةٌ، ولكنَّها لَيْسَتْ جَدِيدَةٌ البتَّةَ، بل هي مُجَرَّدُ هِرطقاتٍ قَدِيمَةٍ تَظْهَرُ على السَّاحةِ. هذه الإيديولوجِيَّاتُ، "كالإنسانِيَّةِ" مثلاً، التي تُعَلِّمُ أن الإنسانَ قَادِرٌ على تَدْبِيرِ أُمُورِهِ بِنَفْسِهِ، موجودةٌ منذُ القَدِيمِ. "أنا سَيِّدُ مَصرِي وأنا رَبُّبَانَ نَفْسِي"، هكذا يُعَبِّرُ الإنسانِيونَ عن مَوقِفِهِم. ولكن عندما نَدْرُسُ سِيرَ حَياةِ أَمثالِ موسى، نَجِدُ العَكْسَ تَماماً، فنَجِدُ هذه المُطلقاتِ الروحيَّةَ تَظْهَرُ في حَياتِهِم: "لَيْسَ أنا، بل اللهُ، وهو فِيَّ". أنا لا أَسْتَطِيعُ ولكنَّ اللهُ يَسْتَطِيعُ وهو مَعِي."

هل نحنُ بِحَاجَةٍ لَله؟

يُنَاقِضُ إرميا طَريقةَ التَفَكِيرِ هذه عندما يَعمَلُ مثلَ العِظَةِ التي نَجِدُها في إرميا ١٠: "عَرَفْتُ يا رَبُّ أَنَّهُ لَيْسَ لِلإنسانِ طَريقُهُ. لَيْسَ لِلإنسانِ يَمشِي أن يَهْدِيَ خَطواتِهِ" (٢٣). ثُمَّ أنْظُرْ إلى هذه العِظَةِ: "مَلْعُونٌ هو الذي يَعمَدُ على الإنسانِ وَيَجْعَلُ مُتَكَلِّهًا على الجِسدِ، وَيَحِيدُ قَلْبَهُ عن الرَّبِّ" (٥). ثُمَّ يُعْطِي إرميا التَصرِيحَ الإيجابيَّ عن هذه الحَقيقة: "مُبَارَكٌ الرَّجُلُ الذي يَثِقُ بِالرَّبِّ وَيَضَعُ اعْتِمادَهُ عَلَيْهِ" (٧).

هناكَ الكَثيرونَ يُؤْمِنونَ أَنَّهُم لَيْسوا بِحَاجَةٍ إلى راعي. وَيَظُنُّونَ أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ لَدَيْهِم يَوماً مُشْكَلةٌ لَمْ يَسْتَطِيعوا حَلَّها. فَهَمُّ يُؤْمِنونَ بأن الذكاءَ البَشَريَّ ومُوهَباتِ الإنسانِ هي كُلُّ ما يَحْتَاجُونَهُ. أما كَلِمَةُ اللهِ فَتَقُولُ لا، لَيْسَ هذا هو كُلُّ ما نَحْتَاجُهُ. فَأَنتِ تَحْتَاجُ إلى راعي. وَتَحْتَاجُ إلى حَكمةٍ من اللهِ وَتَحْتَاجُ إلى قُوَّةٍ دِينامِيكِيَّةٍ (نِعمة) من اللهِ لِتَطْبِيقِ هذه النِّعمةِ التي أَخَذْتِها من اللهِ (يَعْقُوبُ ١: ٥؛ ٢ كُورِنْثُوسُ ٩: ٨). هذه هي فلسفَةُ وتَعلِيمُ جَمِيعِ الأنبياءِ، وَتَعلِيمُ العَهْدَيْنِ القَدِيمِ والجَدِيدِ.

مُسْتَعِدٌّ لِكَلِمَةِ

إِنَّ عَلاجَ إرميا لِإرتدادِ يَهُودًا، أو الخَطِيئَةِ التي جَلَبَتْ على الشَّعبِ السَّبِيَّ البَابِلِيَّ، يُعَبِّرُ عَنْهُ إرميا في عِظَةٍ أُخرى نَجِدُها في الإصحاحِ الرَّابِعِ: "لأنَّهُ هَكَذا قالَ الرَّبُّ لِرِجالِ يَهُودَا ولأورشليمِ احزُنوا لأنفُسِكُم حَزنًا ولا تَزرَعوا في الأشْواكِ. اخْتَبَتُوا لِلرَّبِّ وانزَعُوا غُرْلَ قُلُوبِكُم يا رِجالَ يَهُودَا وَسُكَّانَ أورشليمِ لئلا يَخْرُجَ كَنارٍ غَيظِي فَيُحْرِقُ وَلَيْسَ من يُطْفِئُ بِسَبَبِ شَرِّ أَعْمالِكُم." (إرميا ٤: ٣-٤).

إِنَّ عِظَةَ إرميا هذه تُشَبِّهُ عِظَةَ الرَّبِّ يَسوعَ نَجِدُها في الأناجيلِ، وَنُسمِّيها "مَثَلُ الزَّارِعِ". قالَ يَسوعُ أَنَّهُ عندما يُكْرَزُ بِكَلِمَةِ اللهِ، فهذا يُشَبِّهُ الزَّارِعَ الذي يَخْرُجُ لِيَبْدُرَ بُدُورَهُ. وعندما يَبْدُرُ الزَّارِعُ هذه البذورَ، تَسْقُطُ على أربَعَةِ أنواعٍ مِنَ التُّرْبَةِ.

فالأنواع الأربعة للتربة تُمثّل أربعة طُرُقٍ يتجاوبُ بها الناسُ مع كلمة الله عندما يُكرّرُ بها. أحياناً لا تستطيع الكلمة أن تخترق ذهن السامع؛ وأحياناً لا تستطيع الكلمة أن تخترق إرادة السامع؛ وأحياناً تخترق الكلمة الذهن والإرادة، ولكن عندما تنمو، تخنقها الأشواك التي تُشيرُ إلى هُوموم العالم والغنى؛ وأحياناً تنمو بُدورُ الكلمة وتُؤتي ثماراً مُتنوّعة.

في هذا المثل الرائع، كان يسوع يبني على أساس عظة إرميا. شبّه إرميا "حياة الشعب بالأرض غير المفلوحة وغير المزروعة." لقد نسي الشعب كلمة الله. وكُلُّ مشاكل الشعب وظروف حياتهم، كانت تُحضّرُ تربةً تُربّة حياتهم لقبول بُدور كلمة الله ثانيةً. لقد كان الله يُحضّرُ تربةً حياتهم ليسمعوا كلمة الله.

يتكلّم إرميا أيضاً عن ختان القلب. فكثيرون يُؤمنون أن الرسول بولس قد اقتبسها من إرميا. فبولس يقول لنا، "أنّ الختان كان لشعب العهد القديم مثل المعمودية بالنسبة لنا اليوم. فالختان كان الفريضة أو الطقس الذي أعلن به الشعب اليهودي إيمانهم. والمعمودية هي الطريقة التي علمنا بها يسوع كيف نعترف بإيماننا بيسوع المسيح اليوم.

والطقس قد يُصبح فارغاً من محتواه. فالطقس بدون حقيقة قد يُصبح فارغاً وبدون معنى. لقد شدّد كلُّ من يسوع والرسل والأنبياء على الفرق بين القول والعمل. فالعمل هو دائماً أكثر أهمية من القول. فأن تحيا حياتك اليومية كما تعلّمك الفرائض التي تُمارسها، هو ما يقصده إرميا وبولس عندما يتكلّمان عن الختان في القلب. فهل تعترف بأنك تؤمن؟ إن كنت تعترف بالإيمان، لا تكتفِ بمجرد قول ذلك، بل عِشه في حياتك.

أخبار الله المُحزنة

في الإصحاح ٢٣، يستخدم إرميا كلاً من الفكاهة والسخرية في وعظه، كما نرى في هذا المقطع، "وإذا سألك هذا الشعب أو نبي أو كاهن قائلاً ما وحي الرب [أو أخبار الله المُحزنة]، فقل لهم أي وحي [أو أية أخبار مُحزنة؟]. [أنتم الخبر المُحزن] إني أرفضكم هو قول الرب. فالنبي أو الكاهن أو الشعب الذي يقول وحي الرب [أو يسخر بأخبار اليوم المُحزنة]، أعاقب ذلك الرجل وبيته."

لقد سخروا بإرميا لأنه لم يكن لديه أي شيء مُفرح يقوله. بل كانت رسالته رسالة ويل، لأنّ الويل كان آتياً. إن كل ما قاله إرميا تحقّق بحذافيره، سواء الويل أو الهول، ولكن أيضاً الرجاء. كانت كرازه إرميا الرجاء الوحيد عند اليهود الذين سمعوا عظاته. ونُبؤاته المسيوية الممزوجة بوعده بالرجوع من السبي، تُشكّل رجاءنا النهائي المبارك اليوم.

العِبءُ المُلقى على عاتق إرميا

لقد كانت رسالته عاطفية جداً. "أحشائي أحشائي. تُوجعني جدران قلبي. بين في قلبي. لا أستطيع السكوت. لأنك سمعت يا نفسي صوت البوق وهتاف الحرب. بكسر على كسر نودي لأنه قد خربت كل الأرض." (إرميا ٤: ١٩ - ٢٠). ففي إعلاناته النبوية عن الإحتلال البابلي، كان بإمكان إرميا سماع أصوات الجيش البابلي وصراخ شعب يهوذا. وكونه استمر باختبار أهوال هذه الأحداث، تساءل، "حتى متى أرى الرأية وأسمع صوت البوق؟" (٢١) فأجابه الرب، "لأن شعبي أحمق. إياي لم يعرفوا. هم بنون جاهلون وهم غير فاهمين. هم حكماء في عمل الشر ولعمل الصالح ما يفهمون" (٢٢).

قد تكون عظة إرميا هذه مُلائمةً لجيلنا الحاضر. فنحن خبراء في صناعة الأسلحة المُدمرة اليوم، ولكن هل نعرف كيف نعمل الخير؟ لقد أصبح العنف والجريمة عدوى مُتفشية في حضارتنا. لقد صار لدينا عبقرية مُطلقة لإختراع الاسلحة النووية والكيميائية والبيولوجية للدمار الشامل، ولكن يبدو أننا لم نعد نعرف ما هو الخير أو الصواب.

مُثابرة إرميا

لقد قام إرميا بإملاء النسخة الأصلية لهذا السفر على كاتبه الأمين باروخ، عندما كان إرميا في سجنه. وبعد أن أكمل درج عظامه كما تذكرها تبعاً، طلب أن يُقرأ الدرج بأكمله على الشعب يوم الصوم. فأنثر هذا الدرج بقوة بالشعب، ومن ثم قرأ السفر على مسامع الملك. وبينما كان يُقرأ السفر للملك، كانت هناك نار مُتقدة في مدفأة الملك. فبعد أن قرأ سفر إرميا جزءاً بعد الآخر، قطع الملك بسكين حاد، ورماه في النار وأتلفه.

عندما أُخبر إرميا بذلك، أرسل وراء باروخ، وقال لكاتبه الأمين أن يأتي بدرج أكبر من الأول، لأنه كان سيعيد كتابة سفره، ولأنه تذكر عدة عظام لم يكن قد وضعها في الدرج الأول الذي احترق. وهكذا ألقى إرميا إصحاحاته الإثنين والخمسين التي درسناها معاً. فلولا مُثابرة النبي العظيم إرميا، لما كان لدينا هذا السفر الرائع.

الفصل السابع

سفر مراثي إرميا

"اللهُ يُحِبُّكَ مهما كانت حالتُكَ"

إن سفرَ إرميا هو مُلَحَقٌ لسفرِ إرميا. ولقد بكى إرميا على مدى إثنين وخمسين إصحاحاً، بسببِ الإعلانات النبويَّة التي أعطاهُ إياها اللهُ عن الإحتلالِ البابلي الآتي. ينتهي سفرُ إرميا حيثُ نجدُ إرميا باقياً في أرضِ يهوذا، بعدَ أن أُخِذَ كُلُّ الشعبِ إلى السبي. ويبدو أنَّ إرميا نَزَحَ إلى مصرَ فيما بعد، وبِحَسَبِ التقليدِ، يقولُ البعضُ أَنَّهُ قُتِلَ في مصرَ، والبعضُ الآخرُ يقولُ أنَّ إرميا ذهبَ إلى بابلٍ لِيَعِظَ لِشعبِ يهوذا الذي أَحَبَّهُ. ويقولُ آخرونَ أنَّ إرميا قضى أَيَّامَهُ الأخيرةَ في يهوذا.

لقد أُحْسِنَ اختيَارُ إسمِ سفرِ المراثي. إنَّ هذا النبي الباكي كانَ لا يزالُ يبكي لأنَّ الأرضَ التي احتلَّتْ والشعبَ الذي أَحَبَّهُ إرميا كثيراً، أولئك الذين لم يُذَبَحُوا عندَ سُقُوطِ أورشليم، أُخِذُوا عبيداً وسبأوا إلى أرضِ بعيدة.

أحدُ المشاكلِ التي عَبَّرَ عنها إرميا في سفرِ المراثي، والتي يُشارِكُهُ فيها أنبياءُ آخرونَ مثلَ حزقيال ودانيال، هو أَنَّهُمْ لم يستطيعوا أن يكونوا حيثُ كانَ الهيكلُ موجوداً. لقد آمنَ اليهودُ أنَّ هيكلَ الله كانَ مَسْكِنَ الله. وهكذا فإنَّ سحابةَ الحُضُورِ الإلهي كانت حريفياً وفعلياً في

قُدس الأقداس في هيكلِ سُليمان في أُورشليم. فبِمَعْنَى ما أَصْبَحَ الهيكلُ عُنوانَ سكنِ الله بالنسبةِ لهؤلاءِ الأنبياءِ الأتقياءِ. لهذا صَلَّى دانيالُ نحوَ أُورشليمِ لأنَّهُ آمَنَ أَنَّ اللهَ كانَ يَمكُثُ هُنَاكَ. فأينَ أَصْبَحَ اللهُ بالنسبةِ لِشعبِ اللهِ الذي كانوا يَعيشُونَ في بابلَ؟ ذلكَ الإلهُ الذي كانوا يَعْبُدونَهُ في أُورشليمِ؟ لقدَ كانتَ أُورشليمُ مَدِينَةَ اللهِ بالنسبةِ لَهُم، فَشَعَرُوا بأنَّهُم مُنْفَصِلُونَ عن مَدِينَتِهِم المَقَدَّسَةَ وإِلَهُهم القُدُّوسَ.

مَغارةِ إرميا

عندما كَتَبَ إرميا سَفَرَ المراثي، كانَ يَجِلسُ في مَغارةٍ على تَلَّةٍ. وهُنَاكَ مَكانُ الآنَ يُدعى "مَغارةِ إرميا"، يَقعُ على تَلَّةٍ تُدعى الجُلجُتَّة. فبِترتيبِ العِنايةِ الإلهيَّةِ، كانتَ مَغارةُ إرميا هُنَاكَ على تَلَّةِ الجُلجُتَّة حيثُ ماتَ يسوعُ المسيحُ عن خطايا العالمِ. وسوفَ نرى معنى هذه العِنايةِ الإلهيَّةِ عندما نَصِلُ إلى رسالةِ المراثي.

أسلوب المراثي الأدبي

من وَجْهَةٍ نظرٍ أدبيَّةِ، يُعْتَبَرُ سفرُ المراثي تُحفةً فَنِيَّةً في الشِّعرِ، وهو يَحْتَوِي على خَمسةِ أشعارٍ أو قصائدٍ، في إِصْحاحاتِهِ الخَمسةِ. فَكُلُّ إِصْحاحٍ مُؤَلَّفٌ من قَصيدةٍ رثاءٍ مُسْتَقِلَّةٍ، وأربعةٌ من هذه القَصائدِ هي أشعارٌ بِحَسَبِ التَّسْلُسِ الأَبجدي، أي يَبْدَأُ كُلُّ سَطْرِ أو عَدَدٍ منها بحرفٍ أَبجدي بالتتالي من الألفِ إلى الياءِ. ومهما كانَ شَكلُ سفرِ المراثي جَميلاً أدبيّاً، إلا أَنَّ رِسالَتَهُ الروحيَّةَ كانتَ هي السببُ في وَضْعِهِ ضَمَنَ أسفارِ الوحيِ.

فِرِسالَةُ السَفْرِ المُوحى بها من الله تتركزُ حَولَ المأساةِ الرديئةِ التي نَتَجَتَ عن السبيِ البابلِي. هذه الرِسالَةُ مُعبَّرٌ عنها بِعاطفةٍ جَيَّاشَةٍ: "بِمَاذا أُنذِرُكَ بِمَآذا أُحذِرُكَ؟ بِمَآذا أُشَبِّهُكَ يا ابنةَ أُورشليمِ؟ بِمَآذا أَقايِسُكَ فَأَعزِّبُكَ أَيُّتُّها العذراءُ بِنْتُ صهيونِ. لأنَّ سَحَقَكَ عَظِيمٌ كَالبحرِ. من يَشْفِيكَ؟" (مراثي ٢: ١٣). إنَّ وَصْفَ إرميا الحَيويِّ لِأُورشليمِ بَعْدَ الإجتياحِ البابلِي، يُظهِرُ هَولَ حَالةِ المَدِينَةِ المَهزُومةِ من قِبَلِ أَمْبِراطُوريَّةِ مِثْلِ الأَمْبِراطُوريَّةِ البابلِيَّةِ.

عندما نَظُنُّ أَنَّ هذا السَفَرَ مملوءٌ بالحُزنِ واليأسِ، يُفاجئنا إرميا بِرِسالَةٍ نبويَّةٍ مَسياويَّةٍ جَميلةٍ مُفَعِّمةٍ بِالرِجاءِ. لربَّما تَتَذَكَّرُونَ أَنَّ أَيُّوبَ عَمِلَ الشَّيْءَ نَفْسَهُ في قَمَّةِ أَمِهِ (أَيُّوبَ ١٩: ٢٥، ٢٦). في الإِصْحاحِ الثالِثِ من سفرِ المراثي، وفي عُمقِ يأسِهِ، أَخَذَ إرميا إِعْلاناً نبويّاً مُدهِشاً: "إنَّهُ من إِحساناتِ الرَّبِّ أَننا لَم نَفن. لأنَّ مَرِاجِمَهُ لا تَزُولُ. هي جَدِيدَةٌ في كُلِّ صَباحٍ. كَثِيرَةٌ أمانَتُكَ. نَصيبِي هو الرَّبُّ قالتَ نَفسي. من أَجْلِ ذلكَ أَرْجُوهُ. طَيِّبٌ هو الرَّبُّ

لَّذِينَ يَتَرَجُّونَهُ لِلنَّفْسِ الَّتِي تَطْلُبُهُ. جَيِّدٌ أَنْ يَنْتَظِرَ الْإِنْسَانُ وَيَتَوَقَّعَ بِسُكُوتٍ خِلاصَ الرَّبِّ. (مراثي ٣: ٢٢-٢٦).

إن رسالة الرجاء التي أعلنت لإرميا كانت التالية: الله لا يكف عن محبتنا! عندما نخطئ، يُحِبُّنا الله مهما كانت حالنا. فرجاؤنا هو في محبة الله. فعندما كان أولئك المسيبين على وشك أن يُقادوا بالأغلال، قال لهم إرميا، "لا تفتخروا بغناكم ولا بقوتكم ولا بحكمتم ولا بتقافتكم. بل افتخروا بالله. عليكم أن تأثروا لمعرفة الله لكي تجدوا ملئكم فيه. يُمكنكم أن تعرفوا الله من خلال محبته غير المشروطة والتي لا تسقط أبداً." وهكذا جعل الله إرميا يعرف أنه ليس بإمكاننا أن نربح محبته بإنجازاتنا الإيجابية، ولا يُمكننا أن نخسر محبته بإنجازاتنا السلبية. فالله لن يكف عن محبتنا أبداً بتاتاً.

برهان محبة الله

في مراثي إرميا الإصحاح الثالث، نقرأ الكلمات التالية: "من ذا الذي يقول فيكون والرب لم يأمر. من فم العلي ألا تخرج الشرور والخير. لماذا يشتكي الإنسان الحي الرجل من قصاص خطاياها. لنفحص طرفنا ونمتحنها ونرجع إلى الرب" (٣٧-٤٠).

إذ يُعبر إرميا عن هذا الرجاء العظيم، يُعطينا الحقيقة ذاتها التي اكتشفناها في سفر أيوب، أن الأيام الجيدة والأيام الرديئة من عند الرب تأتي (أيوب ٢: ١٠). هذه الحقيقة نراها أيضاً مع سليمان، الذي علم قائلاً أنه علينا أن نفرح عندما نعيش في زمن الخير. ولكن حتى في زمن الشر، علينا أن ندرك أن الله جعل هذا مع ذلك. وهو يسبق هذا التعليم بإخبارنا أن الذهاب إلى بيت النوح خير من الذهاب إلى بيت الوليمة، لأن الحزن يجعلنا نُفكر بالقيم الأبدية. فكروا بكونكم ستموتون. فكروا بالله، بالحياة، وبغاياتها ومعناها. (جامعة ٧: ٢، ١٤).

تذكروا أن شعب الله كانوا قد أصبحوا عبدة أوثان لا يرجي شفاؤهم. فخطيتهم لم يعُد لها حُدود، بمن فيهم كهنتهم وأنبيأؤهم الفاسدون. ولكن كانت رسالة إرميا وباقي أنبياء السبي هي التالية: إن الله يُحبكم كثيراً لدرجة أنه لا يطيق أن يراكم تُتلفون يوماً بعد الآخر بدون أي وعي ووعي روعي، وأنتم تعيشون في الخطية. إن الله لن يسمح لهذا أن يحدث لكم لأنكم شعبه.

إن التطبيق التعبدية هو أنه عندما يُؤدبكم الله على خطاياكم وذلك بسماحه بالألم في حياتكم، فإن هذا الألم هو برهان وتأكيدي على كونكم أبناء الله. فأنتم كأهل، سوف تُؤدبون أولادكم عندما ترونهم يُسيئون التصرف، فتؤدبونهم لأنهم أولادكم، ولا تُؤدبون أولاد الجيران مثلاً،

لأنَّهم ليسوا أولادكم. يقولُ كاتبُ الرسالةِ إلى العبرانيين أنَّ هذا النوع من التأديب هو بُرْهانُ كونِ الربِّ أبانا وأنَّهُ يُحِبُّنا (عبرانيين ١٢).

الفصلُ الثامن

نُبُوَّةُ حَزَقِيَال

روائعٌ عجيبةٌ وغريبةٌ

بينما كانَ شعبُ اللهِ في طريقهم إلى بابل، يقولُ مُرْتَمُّ المزامير أنَّ مُعَدِّبِيهم سَخَرُوا بهم قائلين، " أنتم شعبٌ تُحِبُّونَ أن تُرْتَمُّوا عن الإهْكم وأن تُسَبِّحُوا الإهْكم. فدعونا نسمَعُ البعضَ من ترانيمِكُم لله الآن." ويُجيبُ المُرْتَمُّ: "كيف تُرْتَمُّ ترنيمَةُ الربِّ في أرضٍ غريبةٍ" (مزموْر ١٣٧: ٤).

كانت هذه هي الظُّروف التاريخية التي وعظَ فيها أنبياءُ مثل دانيال وحزقيال، وعاشوا حياتهم غير الإعتيادية كأنياء، خلال ظُروفٍ قاسيةٍ قاهرةٍ. لقد كانَ حزقيالُ ودانيالُ من نفسِ الجيل. أُخِذَ دانيالُ إلى بابل كَأَسِيرٍ عندما كانَ لا يزالُ في الرابعةِ عشر من عُمره. أما حزقيالُ فأُخِذَ بعدَ تسعِ سنواتٍ، عندما كانَ في الخامسة والعشرين. فوعظَ في مُخِيَّماتِ العبيد للأشغال الشاقَّة، وكانَ النبيُّ الوحيدُ الذي خدَمَ مُباشرةً بينَ العبيد.

لم يشأ الله لشعبه حتى عندما كانوا في السبي أن يبقوا بدون نبيهم. لهذا كلف هذا الشاب حزقيال لكي يذهب إلى السبي ويخدم بين الأسرى. هناك عددٌ مفتاحيٌّ في سفر حزقيال نجدُه في الإصحاح ٢٢: ٣٠، "وطلبتُ من بينهم رجلاً بيني جداراً ويقفُ في الثغر أمامي عن الأرض لكيلا أخربها فلم أجد." لقد أراد الله أن يجد رجلاً بين الأسرى الذي يبني جداراً ويقفُ في الثغر بين الله وشعبه. فكلف الله حزقيال بهذه المهمة.

الأدب الرؤيوي

"روائع عجيبة وغريبة." يُعتبرُ هذا عنوانٌ مناسبٌ لسفر حزقيال لأنه مليءٌ بالنبؤات الرائعة، العجيبة والغريبة. وبمعنى ما كان حزقيال نفسه عجبياً وغريباً كنيبي. إذا قارنت الأنبياء، سوف تجدُ أن دانيال، حزقيال، والرسول يوحنا كانوا جميعاً في النفي عندما كتبوا أسفار دانيال، حزقيال، والرؤيا. لقد كان دانيال وحزقيال في السبي البابلي، أما الرسول يوحنا فكان منفياً إلى جزيرة بطمس. هؤلاء الثلاثة كُتِّبَ للوحي يُعطوننا ما يُسميه علماء الكتاب المقدس "الأدب الرؤيوي". كلمة "رؤيا" تعني أن هناك حجابٌ وشيءٌ خفيٌّ وراءه. ولن يكون بالإمكان معرفة ما هو خلف الحجاب، إلى أن يُرفع الحجاب.

هذا الأدب الرؤيوي يُسمى أيضاً أدبُ الأمور العتيدة، لأنه لا يأخذنا فقط خلف الحجاب، بل يأخذنا أيضاً إلى المستقبل، أو الإسكاتولوجيا. إنَّ الكلمة اليونانية "إسكات" تعني "الأمور الأخيرة." وهكذا فإن كلمة إسكاتولوجي تعني علمُ الأمور الأخيرة. فهناك نبيٌّ يأخذك خلف الحجاب ويُريك ما سيحدثُ عندما يُنهي الله تاريخ البشرية. ويُشيرُ المفسرون إلى حُطَّةِ الله لإنهاء التاريخ البشري بعقيدة الأمور الأخيرة أو الإسكاتولوجيا.

تقسيم سفر حزقيال

إنَّ موضوع نبوة حزقيال المنظمة بشكلٍ جيّد، هو التالي: يتنبأ حزقيال بأنَّ أورشليم سوف تُدمَّر. فكنبي للسبي، كان جزءٌ من هدفٍ خدمته هو أن يدحض رسالة الكثير من الأنبياء الكذبة الذين وعظوا أنه سيكونُ هناك رجوعٌ مُبكرٌ من السبي، لأنَّ هذا ما أحبَّ الأسرى المسيئون سماعه.

يذكرُ إرميا نبياً كذاباً يدعى حننيا، الذي ناقضَ إرميا وقال أنَّ السبي لن يستمرَّ سبعين سنةً، بل مُجرَّد سنتين؟ فتحداهُ إرميا وتنبأ عن هذا النبي الكذاب أنه سيُموث قبل إنتهاء السنة التي تنبأ فيها. ولقد تحققت نبوة إرميا بحذافيرها (إرميا ٢٨: ١١ - ١٧). يبدو أنه كان يُوجد العديد من الأنبياء الكذبة الذين كانوا يعظون بهذه الرسالة.

وفي الإصحاحات الأربع والعشرين الأولى من سفر حزقيال، يرفض حزقيال تلك النبوة الكاذبة بمجرد تنبئه بأن أورشليم سوف تُدمر كلياً. ولقد وعظ حزقيال، تماماً كما فعل إرميا، بأنه لا مفر من الإحتلال البابلي، ولا يمكن تجنب أورشليم من الدمار.

ثم في الإصحاحات ٢٥ إلى ٣٢ من نبوة حزقيال، يتنبأ حزقيال ضد بابل، الأمة التي ستدمر أورشليم. ثم أتبع حزقيال هذا برسالة رجاء، حيث يقول أن أورشليم سوف تقوم مجدداً (الإصحاحات ٣٣ إلى ٤٠). وفي الإصحاحات ٤٠ إلى ٤٨، يُعطينا نبوة عن آخر الأيام. لقد أشار بهذه النبوة إلى المستقبل، حيث يقول أنه في المكان ذاته الذي كان يوجد فيه هيكل سليمان، سوف يبني هيكل آخر، يُشار إليه بهيكل الملك الألفي.

مأمورية حزقيال

معظم عظام حزقيال أتته بشكل رؤى، نجد الكثير منها في سفر الرؤيا. أول واحدة من رؤى حزقيال تبدأ كالتالي: "فنظرت وإذا برّيح عاصفة جاءت من الشمال. سحابة عظيمة وناز متواصلة وحولها لمعان ومن وسطها كمنظر النحاس اللامع من وسط النار. ومن وسطها شبه أربعة حيوانات وهذا منظرها. لها شبه إنسان. ولكل واحد أربعة أوجه ولكل واحد أربعة أجنحة... أما شبه وجوهها فوجه إنسان ووجه أسد لليمين لأربعتها ووجه ثور من الشمال لأربعتها ووجه نسر لأربعتها... فنظرت الحيوانات وإذا بكرة واحدة على الأرض بجانب الحيوانات بأوجهها الأربعة... لأن روح الحيوانات كانت في البكرات." (حزقيال ١: ٤-٦، ١٠، ١٥، ٢١).

إن الحيوانات الأربعة هي مركز الإهتمام في هذه الرؤيا. وسوف تجد يوحنا أيضاً يذكر هذه المخلوقات نفسها في سفر الرؤيا، عندما يفتح الباب للسماء. وحول العرش رأى أربعة حيوانات. الأول هو مثل أسد، والثاني مثل ثور، والثالث مثل إنسان، والرابع مثل نسر. (رؤيا ٤: ٦، ٧).

يعتقد الكثيرون أن هذا هو تلخيص الإعلان عن الله في الكتاب المقدس. فعندما أعلن الله نفسه أولاً للإنسان في جبل سيناء، كان صوت الله يشبه زمجرة الأسد. الطريقة التالية التي أعلن بها الله عن نفسه كانت من خلال النظام الذبائحي الذي اكتشفناه في سفر اللاويين. فالثور يُشير إلى الحيوانات التي كانت تُقدّم كذبائح عن خطايا الشعب.

والإنسان من بين هذه الكائنات الأربعة يأخذنا في إعلان الله المُتقدّم إلى نقطة الأنجيل حيث أصبح الله إنساناً. لقد عاش الله معنا لمدة ثلاث وثلاثين سنة. يقول البعض أن النسر يُشير للألوهة. هذا الإنسان الذي عاش بيننا، كان إنساناً حقاً من إنسانٍ حقٍّ وإلهاً

حقاً من إله حق،" كما يقول قانون الإيمان. إن تجسّد يسوع المسيح كان قمة إعلان الله عن نفسه لهذا العالم.

والبكرات أو العجلات ممكن أن تُشير إلى إعلان الله المُستمر، الذي يتضمّن الأنبياء الذي كرزوا بالإعلان، بما أن رُوح الكائنات الحيّة كانت في العجلات أو البكرات. هذه هي بعض التفسيرات المُحتملة لهذه الرؤيا الأولى لحزقيال.

عندما استلم حزقيال مأموريته من الله (الإصحاح الثاني)، استلمها بعد أن رأى هذه الرؤيا. لهذا يمكن أن نسمي هذه الرؤيا "بإختبار دخول حزقيال إلى حضرة الرب." هل تذكرون إختبار دخول إشعياء إلى حضرة الرب؟ إن جميع أنبياء ورجالات الله العظام في العهد القديم كانت لهم إختبارات الدخول والخروج. بعض هذه الإختبارات وصلت بهم إلى الدخول إلى حضرة الله، وعندها كانت لهم إختباراتهم بالخروج من أجل الله.

إن أنبياء ورجالات الله في العهد القديم كان لديهم إختبار دخول إلى محضر الله مستمرّ أحياناً لعدة سنوات، كما كانت الحال مع موسى. كانت لدى موسى ثمانون سنة من إختبارات الدخول و أربعون سنة من إختبارات الخروج. لهذا كانت سنوات خروجه لأجل الله ديناميكية جداً، لأن الأربعين سنة من الخروج سبقتها ثمانون سنة من الدخول.

في الإصحاح الأول، كانت رؤيا حزقيال للمخلوقات الأربعة وللعجلات إختبار حزقيال بالدخول إلى حضرة الله. في وقت إعطاء المأمورية لحزقيال، كان شعب يهوذا قد فقدوا رؤيتهم لله. لم يعد لديهم أورشليم، ولم يعد لديهم الهيكل، ولم يعد لديهم كلمة الله، ولم يعد لديهم أيّة مساعدات في العبادة. لهذا إحتاج القائد الروحي في تلك الحقبة، أي حزقيال، إحتاج إلى رؤيا فوق طبيعته لله.

لقد أعطى الله حزقيال رؤيا عن ذاته الإلهية بعدّة طرق. أولاً، قال حزقيال مراراً وتكراراً، "صارت إليّ كلمة الله قائلة." وهذا يصحّ علنا لأنبياء كافة. وقال حزقيال أيضاً، "إن يد الله عليّ." عُرف حزقيال كنبّي الروح القدس، لأنّه أشار إلى الروح القدس أكثر من أيّ نبّي آخر. ولكن الذي جعل من حزقيال فريداً بين الأنبياء كان أن السماء انفتحت له ورأى فعلاً مجد الرب.

لقد أعطاه الله هذه الرؤيا عن ذاته الإلهية، لكي يحفظ شعبه من الفناء. وكذلك كان القصد من هذه الرؤيا من الله لحزقيال هي ليستطيع أن يخدم كنبّي في ذلك الزمان الصعب والمكان الصعب، أي في مخيمات الأشغال الشاقة في سبي بابل.

الرقيب الروحي

عِظَةٌ عَظِيمَةٌ لِحَزَقِيَالِ نَجْدُهَا فِي الإِصْحَاحِ الثَّالِثِ مِنْ نُبُوتِهِ. وَاسْمُ العِظَةِ "رَقِيبُ بَيْتِ إِسْرَائِيلِ". هَذِهِ الصُّورَةُ المَجَازِيَّةُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى حِصَارَةِ إِنْتَشَرَتْ فِيهَا المُدُنُ المُسَوَّرَةُ، الَّتِي كَانَتْ كَثِيرًا مَا تُحَاصَرُ مِنْ قِبَلِ مُحْتَلِينَ شَرِيسِينَ. إِسْتَخْدَمَ سُلَيْمَانُ هَذِهِ الصُّورَةَ المَجَازِيَّةَ عِينَهَا عِنْدَمَا قَالَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَحْرُسِ الرَّبُّ المَدِينَةَ فَبِاطِلًا يَسْهَرُ الحَارِسُ (مزمور ١٢٧: ١). دَائِمًا كَانَ هُنَاكَ مُرَاقِبُونَ يَقِفُونَ عَلَى أَبْرَاجِ المُرَاقَبَةِ خِلَالَ اللَّيْلِ، يُرَاقِبُونَ وَيَتَنَصَّطُونَ إِلَى آيَةٍ حَرَكَةٍ أَوْ ضَجَّةٍ مِنْ قِبَلِ العَدُوِّ. إِنْ صُورَةُ حَزَقِيَالِ التَّشْبِيهِيَّةُ تَجْدُ جُذُورَهَا فِي مَسْئُولِيَّةِ الرَّقِيبِ الجَدِّيَّةِ بَأَنَّ يُحَدِّرَ المُواطِنِينَ عِنْدَمَا يَظْهَرُ العَدُوُّ. تَبْدَأُ عِظَةُ حَزَقِيَالِ عَنِ الرَّقِيبِ كَالتَّالِي: "وَكَانَ عِنْدَ تَمَامِ السَّبْعَةِ الأَيَّامِ أَنَّ كَلِمَةَ الرَّبِّ صَارَتْ إِلَيَّ قَائِلَةً. يَا ابْنَ آدَمَ قَدْ جَعَلْتُكَ رَقِيبًا لِبَيْتِ إِسْرَائِيلِ. فَاسْمَعْ الكَلِمَةَ مِنْ فَمِي وَأَنْذِرْهُمْ مِنْ قِبَلِي... إِنْ أَنْذَرْتَ أَنْتَ الشَّرِيرَ وَلَمْ يَرْجِعْ عَنِ شَرِّهِ وَلَا عَنِ طَرِيقِهِ الرَّدِيئَةِ فَإِنَّهُ يَمُوتُ بِإِثْمِهِ. أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ نَجَّيْتَ نَفْسَكَ" (١٦ - ١٧، ١٩).

عِنْدَمَا وَبَّخَ إِرْمِيَا الأَنْبِيَاءَ الكَذِبَةَ فِي زَمَانِهِ، قَالَ لَهُمْ، "لَأَنْتُمْ لَمْ تَنْذَرُوا الشَّعْبَ بِسَبَبِ خَطَايَاهُمْ لَكِي تُنْقِذُوهُمْ مِنْ هَذَا الوَيْلِ، وَلَمْ تُحَاوِلُوا إِنْقَادَهُمْ بِتَحْذِيرِهِمْ مِنْ عَوَاقِبِ خَطَايَاهُمْ." أَمَّا حَزَقِيَالُ فَيَذْهَبُ أَبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ وَيَقُولُ، "عِنْدَمَا تَأْخُذُ كَلِمَةً مِنَ اللَّهِ كَنَبِيٍّ، فَإِنْ حَذَرْتَ الشَّعْبَ وَاسْتَمَرُّوا بِشَرِّهِمْ، فَسَيَمُوتُونَ بِخَطَايَاهُمْ. وَلَكِنَّكَ تَكُونُ قَدْ نَجَّيْتَ نَفْسَكَ. وَلَنْ يَطْلُبَ اللَّهُ دَمَهُمْ مِنْ يَدِكَ. وَإِنْ قَسَيْتَ فِي تَحْذِيرِهِمْ، فَاللَّهُ سَيَعْتَبِرُكَ مَسْئُولًا."

لَقَدْ آمَنَ الرَّسُولُ بُولُسُ بِهَذَا فِي أَيَّامِهِ. قَالَ الرَّسُولُ بُولُسُ، "لَأَنَّنا رَائِحَةُ المَسِيحِ الذَّكِيَّةِ لِلَّهِ فِي الَّذِينَ يَخْلُصُونَ وَفِي الَّذِينَ يَهْلِكُونَ. لِهَؤُلَاءِ رَائِحَةُ مَوْتٍ لِمَوْتٍ وَأَوْلَئِكَ رَائِحَةُ حَيَاةٍ لِحَيَاةٍ. وَمَنْ هُوَ كُفُوٌ لِهَذِهِ الأُمُورِ" (٢ كُورِنْثُوسَ ٢: ١٥ - ١٦).

التَّطْبِيقُ التَّعْبُدِي لَنَا هُوَ التَّالِي: إِنْ كُنْتَ تُشَارِكُ إِنْجِيلَ خَلَاصِ يَسُوعِ المَسِيحِ مَعَ أَحَدِهِمْ فَآمَنَ بِالإِنْجِيلِ، عِنْدَهَا تَكُونُ رَائِحَةُ حَيَاةٍ لِهَكَذَا شَخْصٍ. وَإِنْ شَارَكَتَ مَعَهُ إِنْجِيلَ الخَلَاصِ وَرَفَضَهُ، عِنْدَهَا تُصْبِحُ رَائِحَةُ مَوْتٍ لَهُ، لِأَنَّكَ جَعَلْتَ مِنَ المُسْتَحِيلِ عَلَيْهِ أَنْ يَتَحَجَّجَ قَائِلًا، "لَمْ أَعْرِفْ وَلَمْ أَسْمَعْ أَبَدًا بِهَذَا." إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ الكِتَابَ المُقَدَّسَ هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ المُوحَى بِهَا، عَلَيْنَا أَنْ نَنْضَمَّ لِحَزَقِيَالِ بَأَنَّ نُؤْمِنَ أَنَّ "رُقَبَاءَ رُوحِيُونَ" عَلَى نُفُوسِ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ نَلْتَقِي بِهِمْ فِي حَيَاتِنَا.

لِهَذَا يُشَدِّدُ حَزَقِيَالُ عَلَى الرُّوحِ المُقَدَّسِ فِي كِرَازَتِهِ. فَحَزَقِيَالُ، مِثْلَ بُولُسِ، وَجَدَ كِفَايَةَ عَمَلِهِ الجَلِيلِ فِي الرُّوحِ المُقَدَّسِ. يَقُولُ بُولُسُ، "كِفَايَتُنَا هِيَ مِنَ اللَّهِ." لَقَدْ آمَنَ بُولُسُ أَنَّهُ عِنْدَمَا كَانَ يُشَارِكُ الإِنْجِيلَ مَعَ أَشْخَاصٍ مِثْلَ الكُورِنْثُوسِيِّينَ، لَمْ يَكُنْ يَأْتِي شَيْءٌ مِنْهُ شَخْصِيًّا، بَلِ الكُلُّ جَاءَ مِنَ الرُّوحِ المُقَدَّسِ. (٢ كُورِنْثُوسَ ٣: ٥؛ ١ كُورِنْثُوسَ ٢: ٣ - ٥) اللَّهُ وَحْدَهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْعَلَنَا كُفُوًّا أَنْ نَكُونَ رُقَبَاءَ رُوحِيِينَ.

الفصل التاسع

"عظام يابسة"

هناك العديد من رعاة الكنائس الذين قضوا حياتهم وهم يعطون بكلمة الله، يُحبون عظة حزقيال التي ألقاها في حقل مقبرة جماعية، لربما كانت مكاناً تم فيه ذبح العديد من شعب الله. نقرأ أن حزقيال اقتيد إلى وادٍ مملوءٍ بالعظام اليابسة (حزقيال ٣٧). فكانت مهمة حزقيال التي أعطاه إياها الله أن يتنبأ ويعط لهذه العظام.

مجازياً، هذا هو التحدي الذي غالباً ما يشعُر به القسيس عندما يقفُ ليُعظ على المنبر صباح الأحد أمام مُستمعيه. قال أحد رعاة الكنائس أنه عندما سيرجع يسوع المسيح، سيكون أعضاء كنيسته أول من سيلاقي الرب في الهواء، لأن بولس كتب يقول، "والأموات في المسيح سيقومون أولاً" (١ تسالونيك ٤ : ١٦). قد يتساءل الواعظ أحياناً، أتحميا هذه العظام؟ وهل سيكون بإمكانه أن يعط بطريقة تجعل الحياة الروحية تسري فيه وفي عظته، وتنتقل إلى حياة مُستمعيه؟

عندما أطاع حزقيال أمر الله بأن يتنبأ على العظام اليابسة، نقرأ، "فقال لي يا ابن آدم أتحيا هذه العظام. فقلت يا سيّد الرب أنت تعلم. فقال لي تنبأ على هذه العظام وقُل لها. أيتها العظام اليابسة اسمعي كلمة الرب. هكذا قال السيّد الرب لهذه العظام. هاأنذا أدخل فيكم روحاً فتحيون" (حزقيال ٣٧: ٣-٥).

ويمكننا القول روحياً ومجازياً أنّ شعب يهوذا كانوا عظاماً يابسة. وكان التحدي الذي وضعه الله أمام النبي حزقيال هو التالي: يا حزقيال، أتحيا هذه العظام؟ نرى الله يتحدى أنبياءه في كلمته حيال رؤياهم الروحية. فالآن لا نرى حزقيال يُجيب، "نعم، لديّ كل الإيمان بأن هذه العظام ستحيا،" بل يقول، "أنت تعلم أيتها السيّد الرب." فحزقيال لم يلزم نفسه أمام الله لأنه لم يؤمن حقاً أنّ العظام ممكن أن تحيا. فإذا بالله يقول له، "تنبأ على هذه العظام."

فبدأ حزقيال بالتنبؤ على العظام. وبعد تنبؤه عليها، قال حزقيال أنه سمع صوتاً، وإذا رعث فتقاربت العظام كل عظم إلى عظمه. وبعد أن تقاربت العظام كل إلى عظمه صار لدي حزقيال جمهور من الهياكل العظمية، بدون لحم ولا جلد. فأمر حزقيال ثانية، "تنبأ!" وبينما أخذ حزقيال يتنبأ، إذا بالعصب واللحم كسا العظام وبسط الجلد عليها.

عندما أصبح لدى حزقيال هذا الجيش من الهياكل العظمية التي كساها اللحم والجلد، لم يكن بعد قد وجد جواباً على سؤال الله، "أتحيا هذه العظام؟" فتلك الجثث كانت لا تزال ميتة أمامه. ولم يكن فيها روح. فأتى الأمر من الله، "تنبأ للروح." في الكتاب المقدس، كلمة ریح، نفس، وروح، يُعبر عنها بالعبارَة نفسها. والروح هنا هو الروح القدس. هنا نجد مبدأ عظيم نراه في كلمة الله بأكملها: وهو أن الواعظ بدون الروح القدس يُحاول المُستحيل.

وكل نبي صادق يعرف أنه إن لم يأت الروح ويرفعه ويضع عليه يد المسحة والقوة، فكل ما يُحاول عمله سيكون مُستحيلاً. وهكذا فعندما تنبأ حزقيال للروح، دخل الروح في هذه الجثث فقاموا على أقدامهم وأصبحوا جيشاً عظيماً.

فالتطبيق الأساسي لما كُلف حزقيال بالوعظ به كان التالي: الله يقول لشعبه، "أنا قادرٌ وسوف أردكم من سبيكم. أنا قادرٌ وسوف أرجعكم من بابل إلى أرضكم. وسوف أعيذكُم ثرواتيكم."

والتطبيق الثاني لهذه الرسالة العظيمة لحزقيال يُعطينا صورة عما هو مُتضمن في هذه الخدمة العظيمة في بناء الكنيسة اليوم. فالوعظ بالإنجيل هو الذي يبني الكنيسة. فالعظام اليابسة تُشير إلى الهالكين. يُوجد أكثر من ستة بلايين نسمة على وجه الأرض اليوم،

ومُعظّمهم ضالّون هالكون. فكم من هؤلاء البلايين الستة يعرفون عن يسوع المسيح؟ وكم منهم أحياء مع المسيح؟ وكم منهم يعرفون ماذا يعني أن يسكن الروح القدس فينا ويُجددنا؟ قليلون جداً جداً. هذا هو التحدي الذي يواجهه الكنيسة اليوم. فالتطبيق التعبدي لعظة حزقيال للعظام اليايسة هو التحدي التالي: هل تستطيع كنيسة يسوع المسيح أن تتحرك بقوة الروح القدس لتطبق الأمورية العظمى، وتوصل إنجيل يسوع المسيح إلى الهالكين في هذا العالم؟

هل أنت جزء من هذه العظام اليايسة؟ هل أنت هالك لأنك لم تسمع ولم تؤمن أبداً بإنجيل الخلاص؟ هل تنطبق هذه الرسالة عليك، لأنك تبدو حياً ولكنك لا تملك الحياة الحقة؟ هل لديك روح الله في حياتك وخدمتك؟ مهما كانت ظروف حياتك صعبة، فعلى الأرجح لن تكون صعبة بمقدار صعوبة ظروف حزقيال التي واجهها كل يوم. فإن كان الله قادراً أن يجعل العظام تحيا أمام حزقيال، فإنه قادر أن يعمل هذا لك ولي اليوم.

فإن كان الروح يحيا فيك، فماذا تفعل لكي تبني الكنيسة؟ لا تحتاج أن تكون واعظاً لكي تعلن الإنجيل لشخص آخر. كل ما تحتاجه هو أن تؤمن أن روح الله سوف يمسح كلمة الله عندما تُشاركها مع الآخرين. يُقال أن المبشر هو شحاذ يُخبر شحاذاً آخر عن مكان وجود الخبز. فإن كنت واحداً من الشحاذين الذي يُخبر شحاذاً آخر عن مكان وجود الخبز، فعليك أن تفهم روحياً قوة هذا الدمج ما بين الصلاة والكرامة بالكلمة.

في الإصحاح الثاني من سفر أعمال الرسل، نجد أن الرسل عاشوا معاً في مجتمع رُوحياً مُشترك. ولقد شاركوا ممتلكاتهم وتناولوا الطعام جميعاً معاً. لقد مارسوا الإشتراكية الحقة. فأصبح الرسل يخدمون موائد، مما صرف انتباههم عن خدمتهم الرعوية. فاتخذوا قراراً مهماً، وانتخبوا لهم شمامسة للمرة الأولى وقالوا لهم أن يهتموا هم الشمامسة بخدمة الموائد، لكي ينصرف الرسل إلى الصلاة وخدمة الكلمة. ولقد بارك الله قرارهم إذ انصرف الرسل إلى الصلاة والكرامة بكلمة الله.

هذا هو الدمج نفسه الذي نجد حزقيال يستخدمه في وعظه. قال أحدهم أننا عندما نجتمع معاً، إن لم يتغير أحد، فهذا يعني أن شيئاً لم يحدث. فإن كنا فقط نكرز بالكلمة، سنكون فقط نُعطي معلومات، ولكن لن يحدث شيء للذين يسمعون. ولكن إن كنا نتبع مثال حزقيال والرسل، فسوف نكتشف أنه إن كانت خدمتنا تقوم أولاً على الصلاة، ثم على خدمة الكلمة، فإن شيئاً ما سيحدث. وسوف تتغير حياة الذين يسمعوننا للأبد.

عندما تُعلن الأخبار السارة التي يُعطيها إياها الله، وعندما تنتبأ للعظام، تنبأ أيضاً لنفس الحياة، وتنبأ للروح. وانظر إلى الله، طوال الوقت الذي تعظ فيه، طالباً القوة والمسحة من الروح القدس أن تأتي على وعظك، وعندما تجلُّ قوة الله، عندها تحيا العظام.

الفصلُ العاشرُ

نُبُوَّةُ دَانِيَالِ

"مُؤْمِنُونَ مُقَابِلِ بَابِلِيِّينَ"

دانيال هو النبيُّ الرابعُ بينَ ما يُسمَّى "بالأنبياءِ الكبار"، والثالثُ بينَ ما يُسمَّى بأنبياءِ السبي. عندما نلتقي بدانيال، عندَ سُقُوطِ أورشليمَ للمرَّةِ الأولى، كانَ دانيالُ في الرابعةِ عشرَ من عُمره. فلم يحدثَ آنذاكَ إجلاءٌ كبيرٌ للشعبِ إلى بابل، ولكن أخذتْ نُخبَةٌ قليلةٌ من الأشرافِ والنسلِ الملكيِّ إلى بابل، أمثالَ دانيالِ وأصدقائه. وكانَ نبوخذنصرُ أمرَ بالقول، "أريدُ الشُّبَّانَ النُّبَلَاءَ والأمرءَ والحُكَماءَ لكي يأتُوا ويتتَفَقَّهُوا في جامِعَاتِي." لقد استخدَمَ اللهُ قَرَارَ حاكمٍ وثنيٍّ لكي يُؤسِّسَ ستراتيجيًّا خدمةً في بابلٍ لِخَيْرِ شعبِهِ، حتى عندما يحينُ وقتُ وُصولِ جماهيرِ المسيبيينَ، يكونُ لهمُ تأثيرٌ في قصرِ نبوخذنصرَ.

نماذجٌ وتحذيراتٌ

يُقسَم سفرُ دانيال الذي يتألف من اثني عشر إصحاحاً، إلى قسمين مُتساويين. الإصحاحات الستة الأولى هي سردٌ تاريخيٌّ. أمّا الإصحاحات ٧ إلى ١٢ فهي إعلاناتٌ نبويةٌ. العددُ المُفتاحيُّ لكلِّ القِصص التاريخيَّة في الكتاب المقدَّس، والتي نجدُها في دانيال ١-٦، هو عددٌ في العهد الجديد يقول، "فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثلاً وكُتبت لإندارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخرُ الدُّهور." (١ كورنثوس ١٠: ١١).

في العهد القديم، تجدُ كلاً من سلبيات وإيجابيات الحياة الروحيَّة لمُعظم أبناء شعب الله. ولكن هذا لا يصحُّ لا على يوسُف الصِّديق ولا على دانيال. كلاهما عاشا شبابهما وحياتهما بأكملها في حضارةٍ مُعاديَّة، التي كانت العرين السياسي للأمبراطوريات العظيمة. فدانيال ويوسُف كانا الشخصيتين الأكثر نقاوةً في كلمة الله. فبينما عاش يوسُف كاليد اليمنى لأحد فراعنة مصر، عاش دانيال كلَّ فترة شبابه في الحضارة البابليَّة المُعاديَّة.

عاش دانيال حتى إلى ما بعد موت نبوخذنصر وإبنه بلطشاصر. لقد عاش ليشهد سقوط الأمبراطوريَّة البابليَّة بيد أمبراطوريَّة الفُرس. وهكذا عاش طوال السبعين سنةً في السبي البابلي. وكان قد أصبح عجزاً أضعف من أن يقوى على العودة عندما بدأت حملات الرجوع من السبي البابلي إلى أورشليم، ولكنه شهد الرجوع من السبي.

لقد كان دورُ دانيال ومُهمته أن يُري شعبَ يهوذا كيف يُمكنهم أن يتأقلموا مع السبي، حتَّى عندما كان لا يزال في الرابعة عشرة من عمره. لقد تأقلم دانيال مع السبي بطريقةٍ لافتة للنظر، ولهذا يُعتبَر نموذجاً رائعاً لشعب يهوذا ولنا نحن اليوم.

تصميمُ دانيال

كتب بولس يقول، "ولا تُشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم" (رومية ١٢: ٢). ممكِن أن نُفسر هذا العدد كالتالي: "لا تسمخوا للعالم بالضغط عليكم وتشكيلكم في قوالبه، بل دعوا الله يُجدد أذهانكم من الداخل." كان هذا حضُّ للمؤمنين في العهد الجديد، ولكن الحقيقة ذاتها إنطبقت على دانيال في بابل.

لم يتطلَّب دانيال الكثير من الوقت ليعرف أنَّ الضغطَ موضوعٌ عليه لكي يُشاكل الحضارة البابليَّة. لقد تمَّ إختياره وتسجيله في جامعة بابل، وتمَّ تدريبه على أيدي حُكماء نبوخذنصر ليصبح يوماً ما واحداً من حُكماء بابل. وأوَّل أمرٍ واجهه دانيال كان الطعام البابلي العني. ولربما احتوى الطعام على لحم الخنزير وكل تلك الأشياء غير الطاهرة التي توجب على اليهودي أن يمتنع عن أكلها. وهكذا نقراً، "فجعل دانيال في قلبه أنه لا ينتجس بأطياب الملك ولا بحمر مشروبه." (دانيال ١: ٨).

إِسْمُ دَانِيَالٍ يَعْنِي "اللَّهُ قَاضِيٌّ". لَقَدْ مَشَى دَانِيَالٌ أَمَامَ اللَّهِ طَالِباً مِنْهُ أَنْ يَحْكُمَ عَلَى كُلِّ خُطْوَةٍ يَأْتِي بِهَا. وَكَانَ لِأَصْدِقَائِهِ الثَّلَاثَةِ أَسْمَاءَ ذَاتِ مَعَانٍ رُوحِيَّةٍ. فَمِيشَائِيلُ يَعْنِي "مَنْ مِثْلُ اللَّهِ". وَحَنْنِيَا يَعْنِي "اللَّهُ هُوَ الْمُفْضَلُ". وَعَزْرِيَا يَعْنِي "سَاعِدَةُ اللَّهِ أَوْ يَهْوَةٌ".

فَالآنَ أَوَّلُ مَا فَعَلَهُ الْبَابِلِيُّونَ هُوَ أَنَّهُمْ غَيَّرُوا أَسْمَاءَ هَؤُلَاءِ الشُّبَّانِ الْعِبْرَانِيِّينَ. فَغَيَّرُوا إِسْمَ دَانِيَالٍ إِلَى بِلْطَشَاصَّرَ، الَّذِي يَعْنِي "لِيَحْمِيَ بِلْ حَيَاتَهُ". وَلَقَدْ كَانَ بِلْ أَوْ بَعْلُ إِلَهًا وَثْنِيًّا بَابِلِيًّا. كَانَ الْبَابِلِيُّونَ يُحَاوِلُونَ أَنْ يَجْعَلُوا دَانِيَالًا يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ أَصْبَحَ تَحْتَ حِمَايَةِ إِلَهٍ وَثْنِيٍّ. وَإِسْمُ مِيشَائِيلُ تَغَيَّرَ إِلَى مِيشَخَ، الَّذِي هُوَ مَرْدُوخُ فِي الْبَابِلِيَّةِ. وَكَانَ مَرْدُوخُ أَيْضًا إِلَهًا وَثْنِيًّا بَابِلِيًّا. وَحَنْنِيَا تَغَيَّرَ اسْمُهُ إِلَى شَدْرَخَ، الَّذِي هُوَ إِسْمُ الْإِلَهِ الْقَمَرِ فِي بَابِلٍ. وَتَغَيَّرَ اسْمُ عَزْرِيَا إِلَى عِبْدَنَعُو، الَّذِي كَانَ يَعْنِي "خَادِمَ إِلَهِ الْحِكْمَةِ الْبَابِلِيِّ". (دَانِيَالُ ١ : ٧).

كَانَ نَبُوخَذَنْصَرُ يَقُولُ لِهَؤُلَاءِ الشُّبَّانِ الْأَرْبَعَةِ، "سَوْفَ نَجْعَلُ مِنْكُمْ بَابِلِيِّينَ". وَلَكِنْ وَقَفَ هَؤُلَاءِ الشُّبَّانِ الْيَافِعِينَ أَمَامَ نَبُوخَذَنْصَرٍ وَأَمَامَ أَمْبِرَاطُورِيَّةِ بَابِلٍ وَقَالُوا، "لَنْ تَقْدِرُوا أَنْ تَجْعَلُوا مِنَّا بَابِلِيِّينَ. بَلْ نَحْنُ سَنَجْعَلُ مِنْكُمْ مُؤْمِنِينَ".

يُخْبِرُنَا الْإِصْحَاحُ الرَّابِعُ مِنْ دَانِيَالٍ أَنَّ نَبُوخَذَنْصَرَ، ذَلِكَ النَّابِغَةَ الَّذِي وَضَعَ أُسُسَ الْأَمْبِرَاطُورِيَّةِ الْبَابِلِيَّةِ، اعْتَرَفَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ. يُعْتَبَرُ هَذَا الْإِصْحَاحُ مِنْ أَرْوَعِ إِصْحَاحَاتِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. فَمَا الَّذِي أَوْصَلَ نَبُوخَذَنْصَرَ إِلَى الْإِعْتِرَافِ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ؟ لَقَدْ بَدَأَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَمَا رَفَضَ دَانِيَالٌ أَنْ يَتَنَجَّسَ بِأَطْيَابِ مَلِكِ بَابِلٍ الْغَنِيَّةِ وَالنَّجْسَةِ.

تفسير الأحلام

فِي وَقْتِ مُبَكَّرٍ جِدًّا مِنْ سَبِي دَانِيَالٍ وَرِفَاقِهِ، وَاجِهُوا تَحْدِيًّا آخَرَ. لَقَدْ حَلَمَ نَبُوخَذَنْصَرُ حُلْمًا. وَلَكِنَّ هَذَا الْحُلْمَ أَصَابَهُ بِالْإِضْطِرَابِ. فَدَعَا حُكَمَاءَهُ وَمُنَجِّمِيَهُ وَسَحَرْتَهُ وَقَالَ لَهُمْ، "أَخْبِرُونِي أَوَّلًا بِمَا حَلِمْتُ ثُمَّ فَسِّرُوا الْحُلْمَ لِي".

وَبِالطَّبَعِ كَانَ هَذَا مُشْكِلَةً كَبِيرَةً لِحُكَمَاءِ بَابِلٍ. قَدْ لَا يَكُونُ مِنَ الصَّعْبِ جِدًّا تَفْسِيرَ الْأَحْلَامِ، وَلَكِنَّ الْقَضِيَّةَ تَبْقَى عَمَّا إِذَا كَانَ التَّفْسِيرُ صَاحِبًا. هَذَا مَا كَانَ نَبُوخَذَنْصَرُ يُوَاجِهُهُ. وَعِنْدَمَا وَضَعَ نَبُوخَذَنْصَرُ هَذَا التَّحْدِيَّ أَمَامَ حُكَمَائِهِ، دُهِلُوا وَأَصِيبُوا بِالْهَلَعِ. فَعِنْدَمَا يَطْلُبُ مِنْكَ مَلِكٌ مِثْلَ نَبُوخَذَنْصَرٍ أَنْ تَعْمَلَ شَيْئًا، عَلَيْكَ بِعَمَلِهِ وَإِلَّا جَلِبْتَ عَلَى نَفْسِكَ الْوَيْلَ وَالْهَوْلَ.

فَقَالُوا لِنَبُوخَذَنْصَرِ، "لَيْسَ عَلَى الْأَرْضِ إِنْسَانٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُبَيِّنَ أَمْرَ الْمَلِكِ... وَلَيْسَ آخَرَ يُبَيِّنُهُ قُدَّامَ الْمَلِكِ غَيْرَ الْأِلَهِةِ الَّذِينَ لَيْسَتْ سُكْنَاهُمْ مَعَ الْبَشَرِ" (دَانِيَالُ ٢ : ١٠، ١١). فَاتَّارَ

جوابهم هذا غيظ نبوخذنصر، فأمر بقتل كل حُكَماء بابل. وكان هذا يشمل دانيال وأصدقائه لأنهم أدخلوا الجامعة وكانوا تلامذة حُكَماء بابل.

وعندما وصل الجلادون لقتلهم، تكلم دانيال بحكمة ولياقة، وسأل، "لماذا اشتد أمر الملك إلى هذا الحد؟" فأجاب الجلاد، "لقد وقع خلاف بين الملك والحُكَماء. قال الحُكَماء أن الإله لا تسكن في الناس، ولذلك لن يستطيعوا أن يخبروا الملك بما حلم.".

فقال دانيال ما معناه، "لقد أخطأ الحُكَماء لأن الله يحيا في البشر." فذهب دانيال لرؤية الملك، وطلب منه أن يمنحه بعض الوقت لكي يخبر الملك بالحلم ويتفسره. ثم أخبر دانيال أصدقاءه الثلاثة بما فعل، فبدأوا جميعهم يصلون. وفي تلك الليلة، وبينما هم يصلون أعلن الله برؤيا عجائبية لدانيال حلم نبوخذنصر، وكذلك أعلن له التفسير.

فذهب دانيال إلى نبوخذنصر، فقال له، "أيها الشاب، لقد قيل لي أنك أنت من ستخبرني بالحلم ويتفسره." فأجاب دانيال، "الله وحده يستطيع أن يفعل ما طلبت أنت من حُكَمائك أن يفعلوه، أيها الملك. بهذا أخطأ حُكَماءوك. فهذا الإله الساكن في السماوات، والذي يحيا أيضاً في، هو أخبرني بما حلمته وأخبرني بالتفسير." وعندما أخبر دانيال نبوخذنصر بما حلم، ومن ثم فسّر له الحلم، حرّ نبوخذنصر على وجهه أمام دانيال، ومن ذلك اليوم فصاعداً أصبح يُشير إلى دانيال "بالرجل الذي يحيا فيه روح الله." (إصحاح ٢)

إن تفسير دانيال لحلم الملك هو إحدى المعجزات الخمس في سفر دانيال، التي تُثبت أن هناك ما هو خارق للطبيعة في هذا. والمعجزات الأربع هي: إنقاذ أصدقاء دانيال الثلاثة من الأتون المُتقد (الإصحاح ٣)، وإعتراف نبوخذنصر بالإيمان بالله (الإصحاح ٤)، والكتابة على الحائط (الإصحاح ٥)، وإنقاذ دانيال من جب الأسود (الإصحاح ٦).

من خلال هذه المعجزات أظهر دانيال ورفاقه أي نوع من الإيمان يستطيع أن يتحمل العيش في الصعوبات. لقد كان لديهم الإيمان الذي يثق بقوة الله الخارقة للطبيعة بشكل مُطلق، ولقد آمنوا بقوة الصلاة، وآمنوا بالعبادة الإلهية التي وضعها في بابل.

هل تواجهك مشاكل وضغوطات لا تتحاشى ولا تتجنب، مما جعلك تقف أمام المُستحيل؟ إن الأزمات التي واجهها دانيال وأصدقائه في بابل هي أزمات لا مفر منها ولا تُطاق، ولقد وضعها أمام المُستحيل. ولقد أظهرنا لنا كيف نعيش مع هذا النوع من الأزمات، تماماً كما عاشوا هم أزمته في بابل.

بينما تتأمل في هذه المعجزات المُدوّنة في سفر دانيال، إسأل نفسك هذه الأسئلة: هل تؤمن مُطلقاً بقوة الله الخارقة للطبيعة؟ وهل تؤمن بقوة الصلاة الخارقة للطبيعة؟ وهل تؤمن

بالعناية الإلهية والمقاصد الإلهية التي وضعتك حيث أنت لمجد الله؟ هل تؤمن بهذه الأمور بشكلٍ مُطلقٍ؟

الفصل الحادي عشر

"أمجاد بابل"

مع العلم أنّ هذه الدراسة ليست دراسة أكاديمية بل هي دراسة تأملية تعبدية لأسفار الكتاب المقدس، ولكن هناك خلفية تاريخية ينبغي أن تكون مُطلعاً عليها لكي تحسن تقدير وفهم رسالة سفر دانيال. فعالباً ما يستخدم الكتاب المقدس حكم الملوك والقيصرة لكي يُورّخ أحداثاً تاريخية، كما نرى في الأعداد الإفتتاحية من قصة الميلاد، التي نراها في الإصحاح الثاني من إنجيل لوقا.

خلال الأحداث التي تتكلم عنها الإصحاحات الأربعة الأولى من سفر دانيال، كان نبوخذنصر ملك الأمبراطورية البابلية العالمية. في الإصحاح الخامس من سفر دانيال، نقرأ أن ابن نبوخذنصر، أي بلطشاصر، أصبح الملك. وفي الأعداد الختامية من الإصحاح الخامس والأعداد الأولى من الإصحاح السادس من سفر دانيال، نقرأ أن الفرس احتلوا بابل وأصبح داريوس المادي هو الملك. بهذه الطريقة نعرف أن الإصحاحات الستة الأولى في سفر دانيال تغطي سبعين سنة من التاريخ البابلي.

إن الإطار التاريخي للأحداث التي يغطيها محتوى الكتاب المقدس، يمتد عبر الأمبراطوريات العالمية التالية: مصر، آشور، بابل، فارس، اليونان، وروما. هناك أمبراطوريتان عالميتان تتلاصقان في سفر دانيال – الأمبراطورية البابلية التي دامت سبعين سنة، والأمبراطورية الفارسية، بولاياتها المائة والسبعة والعشرين لمادي وفارس، والتي تشكل الإطار التاريخي لسفر أستير. في إحدى نبؤاته، يُشير دانيال إلى أربع قوى عالمية: بابل، فارس، اليونان، وروما.

لكي نفهم الظروف التاريخية لسفر دانيال، ولكي نُقدّر بشكلٍ خاص أبعثه ومجد نبوخذنصر، من المهم أن نعرف كيف كانت مدينة بابل. فأصغ لهذا الوصف لمدينة بابل الذي كتبه أحد مؤرخي العهد القديم: "كانت المدينة تحوي أكثر من مليوني نسمة، وكانت جنائن بابل المُعلّقة واحدة من عجائب الدنيا السبع في العالم القديم. ويُخبرنا المؤرخون القدامى أن السور الذي كان يُحيط بالمدينة كان طوله تقريباً مائة كيلومتر، إذ شكّل كلُّ ضلعٍ منه حوالي ٢٥ كيلومتراً. وكان ارتفاع هذا السور حوالي مائة وعشرة أمتار، وكانت سماكة الجدار حوالي ٣٠ متراً. وكان أساسه تحت الأرض بعمق ١٣ متراً، لكي لا يتمكن العدو من حفر خندقٍ تحته. وكان يُحيط بالمدينة داخل السور شعاع فراغ عرضه حوالي ٤٠٠ متراً، يتوسط ما بين السور والمدينة. ومن خارج كان السور محميّاً بخنادق مملوءة بالمياه. وكان يوجد على السور مائتان وخمسون برجاً للحراسة.

"كانت المدينة مقسومة إلى قسمين متساويين بفعل مرور نهر الفرات في وسطها. وكان يحجزُ ضفاف النهر جداراً مرتفعاً من الحجارة، مع خمسة وعشرين بوابة لتصل بين الطرقات والسفن. وكان يوجد جسرٌ طوله كيلومتر واحد وعرضه أحد عشر متراً، بالإضافة إلى جسورٍ متحركة تُرفع في الليل. وكان هناك نفقٌ تحت النهر، بعرض سبعة أمتار وارتفاع أكثر من أربعة أمتار. ففي أزمنة الحرب الغائرة، كانت بابل قلعةً حصينة.

مدينة بابل في أيام دانيال، لم تكن فقط المدينة الأولى في العالم، بل كانت أيضاً القوة الأمبراطورية العظمى التي حكمت في العالم حتى ذلك الوقت. هذه الأمبراطورية لم تستمر إلا سبعين سنة. ولقد عايشها دانيال من نهضتها إلى زوالها. وكان دانيال صديقاً ومستشاراً

لِلْمَلِكِ. لَقَدْ كَانَ نَبُوخَذَنْصَرٌ عَبْقَرِيًّا، وَهُوَ الَّذِي بَنَى الْأَمْبِرَاطُورِيَّةَ الْبَابِلِيَّةَ الَّتِي دَامَتْ ٧٠ سَنَةً، وَحَكَمَ هُوَ فِيهَا ٤٥ سَنَةً.

كَانَتْ قُوَّةٌ أَوْ سُلْطَةٌ نَبُوخَذَنْصَرٌ مُطْلَقَةً. فِي الْإِصْحَاحِ الْخَامِسِ مِنْ سَفَرِ دَانِيَالِ، نَقَرْنَا عَنْهُ، "أَيًّا شَاءَ قَتَلَ وَأَيًّا شَاءَ اسْتَحْيَا" (١٩). يَصْعَبُ عَلَيْنَا الْيَوْمَ أَنْ نُقَدِّرَ السُّلْطَةَ الْمُطْلَقَةَ لِحُكْمِ دِكْتَاتُورِيٍّ، أَوْ لِحَاكِمِ ثُوْتَالِيْتَارِيٍّ مِثْلِ نَبُوخَذَنْصَرٍ. عِنْدَمَا تَأْخُذُ فِكْرَةً عَنْ تَارِيخِ هَذَا الرَّجُلِ نَبُوخَذَنْصَرٍ، تُدْرِكُ أَنَّ مُعْجَزَةَ عَظِيمَةً تَمَّ وَصْفُهَا عِنْدَمَا يَذْكَرُ السَّفَرُ إِعْتِرَافًا لِنَبُوخَذَنْصَرٍ بِالْإِيمَانِ بِإِلَهِ دَانِيَالِ.

إِنَّ اِكْتِشَافَ وَتَفْسِيرَ دَانِيَالِ لِحُلْمِ نَبُوخَذَنْصَرٍ (الْإِصْحَاحُ ٢) تَرَكَ أَثْرًا عَمِيقًا جَدًّا عَلَى هَذَا الْمَلِكِ. فِي ذَلِكَ الْحُلْمِ، رَأَى نَبُوخَذَنْصَرٌ تِمْنَالًا لِرَجُلٍ. رَأَسُهُ مِنْ ذَهَبٍ. صَدْرُهُ مِنْ فِضَّةٍ. بَطْنُهُ وَحَقْوِيهِ مِنْ نُحَاسٍ. سَاقَاهُ مِنْ حَدِيدٍ، وَقَدَمَاهُ مِنْ حَدِيدٍ مَمزُوجٍ بِخَرْفٍ.

كَانَ نَفْسِيرُ دَانِيَالِ لِهَذَا بِأَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى الْمَمَالِكِ الْعَالَمِيَّةِ الْأَرْبَعِ الْعَظْمَى. عِنْدَمَا فَسَّرَ دَانِيَالُ حُلْمَ نَبُوخَذَنْصَرٍ، قَالَ دَانِيَالُ، "أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ هُوَ رَأْسُ الذَّهَبِ، لِأَنَّكَ الْقُوَى الْعَظْمَى فِي الْعَالَمِ، وَلَكِنَّ سُلْطَانَكَ هَذَا سَوْفَ يَزُولُ يَوْمًا مَا. فَمَمْلَكَتُكَ سَوْفَ تَسْقُطُ وَتَحُلُّ مَحَلَّهَا مَمْلَكَةٌ أُخْرَى لَنْ تَكُونَ بِعَظْمَةِ مَمْلَكَتِكَ، وَهِيَ مَمْلَكَةُ فَارِسٍ. هَذَا هُوَ جِزْءُ الْفِضَّةِ مِنَ التَّمْنَالِ. وَمَمْلَكَةُ النُّحَاسِ، الَّتِي هِيَ الْيُونَانِ، سَوْفَ تَتَّبَعُ. وَأَخِيرًا، الْمَمْلَكَةُ الْمُشَارُ إِلَيْهَا بِأَقْدَامِ الْحَدِيدِ هِيَ الْأَمْبِرَاطُورِيَّةُ الرَّومَانِيَّةُ." وَقَدْ تُشِيرُ أَصَابِعُ الْقَدَمِينَ الْعَشْرَةَ إِلَى مَنَاطِقِ الْأَمْبِرَاطُورِيَّةِ الرَّومَانِيَّةِ الْعَشْرِ.

يَبْدُو أَنَّ هَذَا التَّفْسِيرَ دَخَلَ ذَهْنَ نَبُوخَذَنْصَرٍ سُرْعَانَ مَا سَمِعَ أَنَّهُ "رَأْسُ الذَّهَبِ." فَصَنَعَ تِمْنَالًا كَامِلًا مِنْ ذَهَبٍ وَجَعَلَ الْجَمِيعَ يَخْرُونُ وَيَسْجُدُونَ أَمَامَهُ. فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ كَانَ نَبُوخَذَنْصَرٌ أَبْعَدَ مَا يَكُونُ عَنِ التَّوْبَةِ. وَكَمَا سَنَرَى، كَانَ لِشَهَادَةِ دَانِيَالِ وَأَصْدِقَائِهِ الثَّلَاثَةِ تَأْثِيرًا عَمِيقًا غَيَّرَ حَيَاةَ نَبُوخَذَنْصَرٍ وَجَعَلَهُ يَعْتَرِفُ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ الْحَقِيقِيِّ.

نَبُوخَذَنْصَرٌ يَثُوبُ

فِي حُلْمِ نَبُوخَذَنْصَرٍ، قُطِعَ حَجْرٌ مِنْ جَبَلٍ بِغَيْرِ يَدٍ. هَذَا الْحَجْرُ الْمُعْجَزَةُ سَقَطَ عَلَى قَدَمِي تِمْنَالِ نَبُوخَذَنْصَرِ الْكَبِيرِ، سَقَطَ عَلَى الْقَدَمِينَ الْمَصْنُوعَتَيْنِ مِنْ حَدِيدٍ وَخَرْفٍ. فَأَدَّى هَذَا إِلَى تَدْمِيرِ التَّمْنَالِ بِأَكْمَلِهِ فَتَنَاطَرَ عَلَى الْأَرْضِ قِطْعًا صَغِيرَةً جَدًّا. التَّفْسِيرُ الَّذِي أَعْطَاهُ دَانِيَالُ لِنَبُوخَذَنْصَرٍ كَانَ أَنَّ كُلَّ هَذِهِ الْمَمَالِكِ الْمُشَارُ إِلَيْهَا بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ وَالْقَدَمِينَ مِنْ حَدِيدٍ وَخَرْفٍ، كُلُّ هَذِهِ الْمَمَالِكِ سَتُدْمَرُ وَتَزُولُ يَوْمًا مَا بِفِعْلِ مَمْلَكَةٍ خَارِقَةٍ لِلطَّبِيعَةِ، أَيْ مَمْلَكَةِ أَوْ مَلَكُوتِ اللَّهِ.

لا نعرف تماماً كيف استخدمَ اللهُ حياةَ دانيال وكلماتِهِ ليصِلَ إلى نبوخذنصر، ولكن الأمر العجيب هو أنَّكَ عندما تصلُ إلى دانيال ٤، تقرأ التالي: "من نبوخذنصر الملك العظيم إلى كلِّ الشعوب والأمم والألسنة الساكنين في الأرض كُلِّها. ليكثرُ سلامُكم. الآياتُ والعجائبُ التي صنَعها معي اللهُ العليُّ حسنٌ عندي أن أخبرَ بها. آياتُهُ ما أعظَمها وعجائبُهُ ما أقواها. ملكوتُهُ ملكوتٌ أبديٌّ وسلطانهُ إلى دَورٍ فدَورٍ." (٢-٣).

في هذا الإصحاح الرابع، يتكلَّمُ نبوخذنصر عن حلمٍ آخر حلمَ به. ولقد وصفَ نبوخذنصر حلمَهُ الثاني هذا كالتالي: "كنتُ أرى فإذا بِشجرةٍ في وَسَطِ الأرضِ وطولُها عظيمٌ. فكبرتِ الشجرةُ وقويت فبلغَ علُوها إلى السماءِ ومنظرُها إلناقصَى كُلِّ الأرضِ. أوراقُها جميلةٌ وثمرُها كثيرٌ وفيها طعامٌ للجميع وتحتها استنظَلُ حيوانُ البرِّ وفي أغصانِها سكنت طيورُ السماءِ وطعمَ منها كُلُّ البَشَرِ. كنتُ أرى في رؤى رأسي على فراشي وإذا بساهرٍ وفُدوسٍ نزلَ من السماءِ. فصَرَخَ بِشِدَّةٍ وقال هكذا. اقطَعوا الشجرةَ واقضِبُوا أغصانَها وانثروا أوراقها وابدروا ثمرَها... ولكن اتركوا ساقَ أصلِها في الأرضِ وبقيدٍ من حديدٍ ونحاسٍ في عُشبِ الحقلِ." (٤: ٤ - ١٥).

ثمَّ تابعَ الملاكُ بالقول، "لَيَبْتَئَلُ بِندى السماءِ وليكنُ نصيبُهُ معَ الحيوانِ في عُشبِ الحقلِ. لِيَتَغَيَّرَ قَلْبُهُ عنِ الإنسانيَّةِ وليُعطَ قلبَ حيوانٍ ولتَمضِ عليه سبعةُ أزمِنَة." (١٥-١٦) قال الملاكُ أنَّ القصدَ من هذا القرار الإلهي هو أن يفهمَ العالمُ، "أنَّ العليُّ مُتَسَلِّطٌ في مَمْلَكَةِ الناسِ فيُعطيها من يَشَاءُ ويُنصِبُ عليها أدنى الناسِ."

ثمَّ يُخبرنا الملكُ أنَّه أخبرَ هذا الحلمَ لدانيال. وعندما سَمِعَ النبيُّ الحلمَ، جلسَ مشدوهاً وصامتاً لساعةٍ من الزمان، مصدوماً من معنى الحلم. وأخيراً قال، "يا سيدي الحلمُ لمُبغضيك وتعبيرُهُ لأعاديك." (١٩)

بعدَ أن ألحَّ الملكُ على دانيال أن يُخبرَهُ بتفسيرِ الحلم، قالَ دانيال، "يطرُدونك من بين الناس وتكونُ سَكَنًا معَ حيوانِ البرِّ ويُطعمونك العُشبَ كالثيران ويبلونك بِندى السماء فتَمضِي عليك سبعةُ أزمِنَة [سنوات] حتَّى تعلمَ أنَّ العليُّ مُتَسَلِّطٌ في مَمْلَكَةِ الناسِ ويعطيها من يَشَاء." (٢٥)

وتابعَ دانيال ليقول أن الله سوف يُعيدُ المُلْكَ لنبوخذنصر عندما سيعترفُ بسيادةِ الله. ثمَّ توسَّلَ دانيال إلى الملكِ قائلاً، "فارق خطاياك بالبرِّ وأثامك بالرحمةِ للمساكين لعلَّه يُطالُ اطمئنناك." (٢٧)

يبدو أن دانيال كتب بعد هذا بضعة أعدادٍ تصفُ تحقق تفسيره النبوي لهذا الحلم. وبعد أن إنتهت هذه المحنة الرهيبة، إستعاد نبوخذنصر الكتابةً مُعبراً عن إعترافه بالإيمان والحمد لإله دانيال الحي والحقيقي. " ورفع عينيه نحو السماء وسبح ومجد الله العليّ.

لاحظ أنه كان لدى الله قصدٌ بجعل نبوخذنصر يمرُّ في هذا الإختبار الرهيب: أن يتعلّم أن العليّ مُتسلِّطٌ في مملكةِ النَّاسِ. فكان على نبوخذنصر أن يحيا كالحَيوان لسبع سنواتٍ، إلى أن تعلّم في النَّهاية ما أرادَه اللهُ أن يتعلّم. يا لهذه الأنا التي كانت لديه، ممّا تتطلبُ اللهُ سبعَ سنين لكي يجعلَ هذا الحاكم العالمي يحني رأسه.

هل من الممكن أن نجتازَ في ظروفٍ وإختباراتٍ مأساويةٍ، لأنَّ اللهُ يُحاولُ أن يُرينا أن لديه الحقُّ أن يحكّمَ هذا العالمَ وأن يسودَ على حياتنا؟ عندما يحدثُ هذا، كم يتطلّبُك من الوقتِ قبلَ أن تقولَ لله، "رَبِّي وإلهي! إستلم قيادةَ حياتي. أنتَ سيّدُ حياتي المُطلق؟"

الفصلُ الثاني عشر

رُوى وإعلانات دانيال

بما أن الإصحاحات الستة الأولى من سفر دانيال هي سردٌ تاريخيٌّ، فهي سهلةُ الفهم وواضحةُ التطبيق. أمّا الإصحاحات الستة الأخيرة من سفر دانيال، مثل سفر الرؤيا ونُبؤات

حزقيال وزكريّا، فإنّ فهمها هو أمرٌ في غاية الصّعوبة. إن تفسيرَ دانيال لحلمِ نبُوخذنصرَ الأوّل في دانيال ٢، يُعطينا نموذجاً يقودنا في مُحاولتنا لتفسير الإعلانات والرؤى الصعبة في سفر دانيال. فقط من خلال خدمة تعليم الروح القدس نستطيع أن نفهم هذه الرؤى التي هي إعلانٌ نبويٌّ عن عمل الله العظيم في عالمنا.

إليكم بعض الخُطوات التي ينبغي اتّخاذها عندما تُحاولون أن تفهموا رؤى وإعلانات سفر دانيال. أولاً، لاحظ الرّموز في الرؤيا. ففي هذه الرؤيا الأولى التي حصلَ عليها دانيال، والمُسجّلة في الإصحاح السابع، تُشبهُ رُموزُ الرؤيا تلك الرّموز التي رأيناها في الحلم الأوّل لنبُوخذنصرَ.

أربعة رياح تهبُّ وتعصفُ بالبحر الكبير، وتخرُجُ منه أربعةٌ وحوش. الوحشُ الرابعُ كان رهيباً ومُخيفاً، ودمرَ الوحوش الأخرى، ولكن قبلَ هذا، خرجت منه عشرةٌ قرون. ثمّ خرج قرنٌ واحدٌ من بين العشرة القرون، وكانت له عُيونٌ وفمٌ كبيرٌ يتكلّمُ بعظائم.

ثانياً، لاحظ الفعل وردّ الفعل بين هذه الرموز. ثمّ انتبه للتفسير المُعطى في النص، الذي هو التفسيرُ المُوحى به من الله لهذا النص. بعدَ هذا، إسأل الروح القدس بِروح الصلاة أن يُريكَ ماذا يعني هذا. إسأل: ماذا يقول، ماذا يعني، وماذا يعني لي شخصياً؟

التفسيرُ المُوحى لحلم دانيال في الإصحاح السابع، يُخبرنا أننا ننظرُ مُجدداً إلى أربعة ممالك. "هؤلاء الحيوانات العظيمة التي هي أربعةٌ هي أربعةٌ ملوكٍ يقومون على الأرض. أمّا قديسو العليّ فيأخذون المملكةَ ويمتلكون المملكةَ إلى الأبد، وإلى أبد الأبدين." (١٧-١٨) "أما الحيوانُ الرابعُ فتكونُ مملكةٌ رابعةٌ على الأرض مُخالفةٌ لسائر الممالك فتأكلُ الأرضَ كُلّها وتدوسها وتسحقها." القرونُ العشرة هي عشرُ ملوكٍ سيخرجون من هذه المملكة. "ويقومُ بعدهمُ آخرٌ وهو مُخالفٌ الأولين ويُدُلُّ ثلاثة ملوك. ويتكلّمُ بكلامٍ ضدَّ العليّ ويُبلي قديسي العليّ. ويظنُّ أنه يُغيّرُ الأوقات والسنةَ ويسلّمونَ ليده إلى زمانٍ وأزمنةٍ ونصفِ زمانٍ." (٢٤-٢٥)

في كلِّ مرّة ترى فيها قروناً في الكتاب المقدّس، تجدُ أنّها تُشيرُ إلى السُلطة، مثل قرن الوحش الذي يقضي على وحوشٍ آخرين. فهذه القرونُ العشرة والقرنُ الصغيرُ الخارجُ منها يُمثّلون قُوى ولربّما ممالك. كثيرون يُفسّرون هذه المملكة الرابعة بأنّها تُشيرُ إلى إعادة إحياء الأمبراطوريّة الرومانية. في رؤيا نبُوخذنصرَ، تُشيرُ ساقا الحديد، المملكة الرابعة، إلى الأمبراطوريّة الرومانية. آخرون يقولون أنّ هذه الرؤيا تُشيرُ إلى الأمبراطوريّة الرومانية التي سيعادُ إحياءُها في المُستقبل. آخرون يقولون لا، فهذه المملكة الرابعة في الإصحاح السابع مَهوبَةٌ ومُختلفةٌ عن الممالك الباقية. فهي عظيمةٌ ومُرهبَةٌ بمعنى أنّها تعبيرٌ نبويٌّ عن غضبِ الله.

برأيي، لا يستطيع المرء أن يكون جازماً في تفسيره لنُبُوت دانيال هذه. فسواءً فهمنا أم لم نفهم كلَّ التفاصيل، فهناك حقيقةٌ كبرى نستطيع أن نأخذها من دانيال ٧: إن كُنْتَ واحداً من أبناء الله، فأنت من الفريق الراجح لأنَّ كلَّ هذه الرؤى تنتهي بتفأولٍ في القمّة. فهي تُصوِّرُ لنا ملكوتَ الله يُسيطرُ على كلِّ الممالك الأخرى، وبأنَّه ملكوتٌ أبديٌّ.

رُؤيا السَّبْعِينَ أُسْبُوعاً

إنَّ أشهرَ رُؤى دانيال أو إعلانيته النبويّة هي ما يُسمّى "برُؤيا السبعين أُسبوعاً". يُخبرنا دانيال أنّه بينما كان يقرأ في نُبُوت إرميا، لاحظ أنّه حان وقتُ رجوعِ شعبِ الله من السبي البابلي قريباً. فكلُّ من إشعياء وإرميا تنبأ أنّهُ بعدَ سبي شعبِ يهوذا إلى بابل بسبعين سنةً، سوفَ يرجعونَ إلى أرضهم. عندما يُخبرنا دانيالُ في نهايةِ الإصحاح الخامس وبدايةِ السادس أنّه أصبحَ الآن تحتَ حكمِ داريوس المادّي، يُحدِّدُ بذلكَ تاريخَ نهايةِ السبعين سنة من السبي.

عندما صلّى دانيال صلاته الرائعة في الإصحاح التاسع، كان دانيال مأخوذاً بكون نهاية السبي الذي سيستمرُّ سبعين سنةً قد جاءت. وعندما صلّى دانيالُ حيالَ هذا الأمر، اعترف بخطاياهُ وبخطايا الشعب. كان دانيال واحداً من أظهر الشخصيات في الكتاب المقدّس، ورغَمَ ذلكَ شملَ نفسه معَ خطايا الشعب إثنين وثلاثين مرّةً في صلاته بالقول، "خطيتنا التي بها أخطأنا".

كرَّرَ دانيالُ هذا مُلتمساً من الله العُفْران. كانَ على قلبِ دانيال أن التأييبَ شارَفَ على نهايته، وأنَّ اللهَ ليسَ فقط سيغفر، بل أيضاً سيردُّ الشعبَ من السبي إلى أرضه.

وبينما كانَ دانيالُ يُصَلِّي، ظَهَرَ لَهُ الملاكُ جبرائيل، وقالَ له، "في ابتداءِ تضرُّعاتِكَ خرجَ الأمرُ وأنا جئتُ لأخبركَ." (دانيال ٩: ٢٣). كانت هذه استجابةً الله لصلاة دانيال، وأحدُ أوضحِ النُبُوتِ المَسياويّةِ التي نجدُها في الكتاب المقدّس. والرُؤيا هي ببساطةٍ التالية: "سبعون أُسبوعاً [من السنين] قُضِيَتْ على شعبِكَ وعلى مدينتِكَ المُقدَّسة. [واليكَ القصدُ من هذه السبعين أُسبوعاً التي قُضِيَتْ بها] - لتكميلِ المعصية وتتميمِ الخطايا ولكفارةِ الإثمِ وليؤتَى بالبرِّ الأبدي ولختمِ الرُؤيا والنُبُوة ولمسحِ قُدوسِ القُدوسين."

إلى جانبِ نُبوّةِ الأخبارِ السارةِ بالرجوعِ الوشيكِ من السبي، نجدُ النُبُوةَ المَسياويّةَ عن المجيءِ الأوّلِ للمسيح. إنَّ تفسيرَ هذه النُبُوةِ المُدهِشةِ يتطلَّبُ بعضَ الحسابات. فاللهُ يُخبرُ دانيالَ بأنَّهُ تماماً كما أنّ السبي استمرَّ سبعين سنةً، فالوقتُ بينَ السبي ومجيءِ المَسيا سوفَ يكونُ سبعَ مرّاتٍ سبعين سنةً، أو أربعمئةً وتسعين سنةً. هذه السنوات سوفَ تُقسَمُ إلى أسابيعٍ من السنين (أي وحداتٍ زمنيّةٍ كلُّ منها مؤلّفة من سبع سنوات). هذه الأسابيع من

السنين تُقسَم إلى سبعة أسابيع، وإثنان وستين أسبوعاً، وأُسبوعٌ واحد. في مُنتصفِ هذا الأسبوع الواحد، سوف يُقطعُ المسيحُ أو يُقتل.

ينبغي أن نُورِّخَ هذه النبوة من وقتِ صُدُورِ قرارِ كوروش بالسماحِ للشعبِ بالرجوعِ وإعادةِ بناءِ أُورشليم. لقد تمَّ الرجوعُ من السبي على ثلاثِ مراحل، ولكنَّ المرحلةَ الهامةَ هي التي تمَّت عام ٤٥٧ ق.م. فإذا جمعتَ إثنين وستين أسبوعاً مع سبعة أسابيع، وضربتَ النتيجةَ بسبعة، تحصلُ على ٤٨٣ سنة. إذا أضفتَ ٤٨٣ سنةً ابتداءً من عام ٤٥٧ ق.م.، تصلُ إلى عام ٢٦ ميلادية. ويُخبرنا علماءُ الكتابِ المقدَّس أن هذه كان السنة التي بدأ فيها المسيحُ خدمتهُ العلنية. كان ينبغي أن يكونَ هناكُ أسبوعٌ من السنين، أو سبع سنين، وفي وسطِ هذه السبع سنين، سوف يُقطعُ المسيحُ. يقولُ المُفسِّرونَ أنه بعدَ ثلاثِ سنواتٍ ونصفٍ من العام ٢٦ ميلاديةً صُلبَ يسوع المسيح.

بينما يختلفُ المُفسِّرونَ حولَ التفاصيل، لكنَّ الأمرَ الواضحَ في رؤيا السبعين أسبوعاً لدانيال هو التنبؤُ الدقيقُ بمجيءِ المسيحِ وبعدهُ بداية ملكوته الذي لن تكونَ له نهاية. هذا هو الملكوتُ المُبينُ نبوياً في حلمِ نبوخذنصرَ الثاني الذي فسَّره له دانيال (٢: ٣٤، ٣٥، ٤٤، ٤٥). لقد تمَّ وصفُ هذا الملكوتِ كحجرٍ كبيرٍ سقطَ على قَدَمي التمثالِ الذي يُشيرُ إلى ممالكِ العالمِ الأربع، ممَّا سبَّبَ تحطيمَ هذا التمثالِ إلى أشلاء.

وذلك الجزء من التمثالِ الذي وقعَ عليه الحجر هو الجزء الذي يرمُزُ إلى الأباطورية الرومانية. وهذا يُشيرُ بدقَّةٍ وفصاحةِ نبويةٍ إلى أن يسوع بدأ ملكوته خلالَ زمنِ الأباطورية الرومانية، وأن ملكوتَ الله الذي دشَّنه يسوع، والذي عاشَ إلى ما بعدَ سقوطِ الأباطورية الرومانية لألفي عام، لن تكونَ له نهاية.

التطبيقُ الشَّخصي لهذه النبوة

هناك تفسيرٌ وتطبيقٌ لهذه الرؤيا النبوية، هو أن أولئك الذين هم جزءٌ من هذا الملكوتِ الأبدى، لديهم حياةٌ أبدية، لأنَّهم جزءٌ من الملكوتِ الأبدى.

ولكي نُغيِّرَ التشبيه، إن كنتَ مؤمناً، وإن كنتَ واحداً من شعبِ الله، تكونُ عندها من الفريقِ الراجحِ في الحربِ بينَ الخيرِ والشرِّ. فالجربُ بينَ الخيرِ والشرِّ تدورُ رحاها منذُ آلافِ السنينِ حتَّى يومنا هذا. ولو تغيَّرَ المكانُ بإستمرارٍ، فإنَّ للخيرِ والشرِّ وجهانِ مُختلفانِ، والحربُ بينهما بدأت منذُ أن قتلَ قايينُ هابيلَ أخاه.

مواطنون سماويون

يقول بولس الرسول أن مواطنيتنا هي في السماويات، وتُخبرنا كلمة الله أن المؤمنين هم سائحون يُسافرون عبر هذا العالم وهم يتطلعون إلى مدينة لها أساسات صانعها وبارئها الله. ويوصف شعب الله كنهري ينساب عبر هذا العالم إلى مدينة الله، حيث سيكون الفرخ كبيراً بوصول هذا النهر إلى هناك. (عبرانيين ١١: ١٣-١٦؛ مزامير ٤٦: ٤، ٥).

هل أنت مواطن في ملكوت المسيح الأبدي هذا، وهل تُشارك في إنتصاره الذي سيحققه هو والآب بدون شك؟ يسوع المسيح هو ملك الملوك ورب الأرباب، والقائد الذي سوف ينتصر على قوى الشر في هذا العالم. فإن كنا تلاميذه الحقيقيين، نكون جنوداً في جيشه الروحي. قد نخسر بعض المعارك على الطريق، ولكننا سنربح الحرب الروحية في النهاية. وسوف نعيش للأبد مع هذه الحقيقة: إن مقدار مشاركتنا في نصرته سيحدد نوعيّة الأبدية التي سنعيشها.

الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس. لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملاً حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل